سورة الفاتحة

(أم الكتاب)

تفسيرها، فضلها، آثارها في الدنيا والآخرة

إعداد

قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ

اسم الكتاب: سورة الفاتحة (أم الكتاب): تفسيرها، فضلها، آثارها في الدنيا والآخرة.

إعداد: قسم الشؤون الدينية – شعبة التبليغ

الناشر: العتبة العلوية المقدسة

المراجعة: شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية

الطبعة: الأولى.

سنة الطبع: ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩م

قياس: ١٤,٨ × ٢١

عدد الصفحات: ٢٢٤

عدد النسخ: ٥٠٠٠

الموقع الإلكتروني: www.imamali.net

البريد الإلكتروني: tableegh@imamali.net

موبايل: ٠٧٧٠٠٥٥٤١٨٦

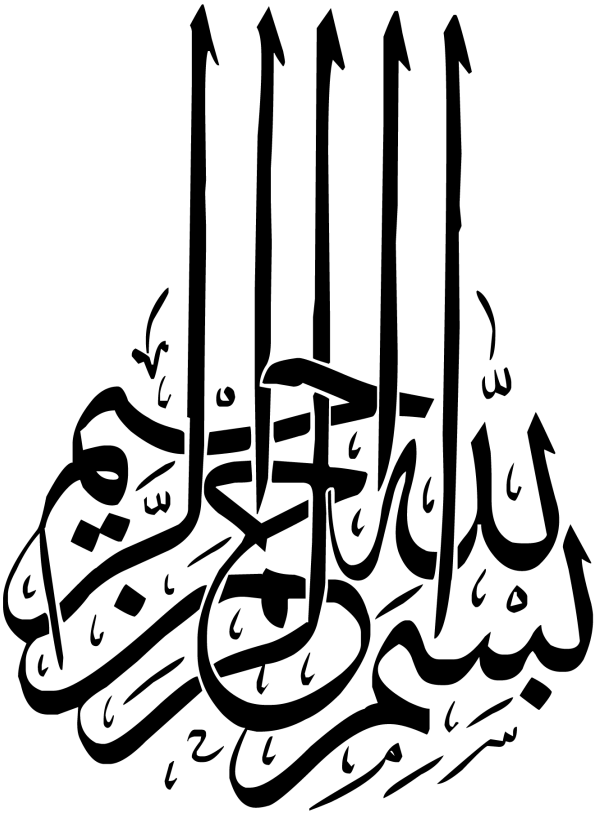
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين.

اهتم الدين الحنيف بتربية المسلمين تربية روحية ترتقي بهم نحو الهدف الأسمى من الخلقة، ألا وهو السمو الروحي والخُلُقي بما يتناسب مع متطلبات الفطرة الإنسانية التي تتوق للوصول إلى الكمال اللائق بها، والقُرب من النور الإلهي، الذي هو أصل كل نورٍ وهدى ورحمةٍ في عالم الموجودات، ولا يتم هذا الأمر من دون وجود راعٍ يُقَوِّم مسيرة الإنسان في هذه الحياة، ويسير بهم نحو الهدف من أقصر الطرق وأسلمها عن الانحراف والزَيْغ، ألا وهم المعصومون عليهم السلام، وكذلك لا يتم من دون شريعة مُنزَلة من قبل خالق الإنسان ومربيه، الذي اهتم برعاية هذا الإنسان وتكفَّل بإيصاله لما يطلبه من كمال وقُرب.

ومن جملة ما مَنَّ الشارع به على عباده، وتفضَّل به عليهم مما يدخل في إطار التكامل والقرب المطلوبين منه والمرغوبين إليه، حالة الذكر التي يعيشها الإنسان في بعض الأوقات، فتملأ روحه ونفسه بنور الله الذي يلهج به لسانه، فيشع عليه رحمة وطمأنينة وهدى، ويجذبه نحو القرب منه، مما يولد التكامل في روحه وأخلاقه ونفسه، فإن حالة الذكر نفسها تُعَدُّ من النعم التي مَنَّ الله بها على العباد التي تقتضي شكراً، كما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام: **(إلهِي لَوْلا الْواجِبُ مِنْ قَبُولِ أمْرِكَ لَنَزَّهْتُكَ مِنْ ذِكْرِي إيَّاكَ، عَلى أَنَّ ذِكْرِي لَكَ بِقَدْرِي، لا بِقَدْرِكَ، وَما عَسى أَنْ يَبْلُغَ مِقْدارِي، حَتّى أُجْعَلَ مَحَلاً لِتَقْدِيسِكَ، وَمِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ عَلَيْنا جَرَيانُ ذِكْرِكَ عَلى أَلْسِنَتِنا، وَإذْنُكَ لَنا بِدُعآئِكَ، وَتَنْزِيهِكَ وَتَسْبِيحِكَ)**[1].

وقد تنوعت أساليب الذكر وتعددت الكلمات التي يلهج بها الذاكرون بحسب ما وصلنا من عدد كبير من الروايات التي فصلت سبل الذكر وطريق الوصول إلى الله، وفي كثير من هذه الأذكار نجد القرآن حاضراً وبقوة، إن لم نقل هو سيد الموقف في ما ورد في هذه الأذكار من نصوص.

وسورة الحمد بما فيها من البسملة من أجلِّ وأشرف السور والآيات التي نزلت في القرآن الكريم، بل في بعض الروايات -كما

(١) مناجاة الذاكرين للإمام السجاد عليه السلام.

سيأتي- أنها أعظم سورة في كتاب الله الكريم، ولذا لا نستغرب ما قد أولاها المشرِّع الأقدس من أهمية كبيرة تجسدت في الكم الكبير من الروايات الشريفة التي جاءت على لسان المعصومين عليهم السلام، حَفَظَةِ الدِّين ومُبيِّنِي شِرْعَة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، الصادق الأمين، والذي يعكس لسان الوحي الإلهي، فقد تحدثت عنها وبينت آثارها وحثت على الأخذ بها والاهتمام بشأنها، وبيَّنت جملة من المواضع للأخذ بها.

ونحن من باب الحرص على تقديم الزاد الروحي للمؤمنين في شتى بقاع الأرض حرصنا على أن نقدم لهم ما يختص بهذه السورة المباركة، التي هي مفتتح القرآن وكل خير يقوم به الإنسان في حياته، يستعين بها عل أموره للدنيا والآخرة، وقد حرصنا أيضاً على استقصاء كل ما ورد مختصاً بها، ليكون الكتاب شاملاً، ولتعم الفائدة ويتضاعف الأجر.

وفي سبيل الإحاطة بكل ما ورد فيها من روايات نقسم البحث فيها إلى قسمين:

القسم الأول: ما يختص بالبسملة من سورة الفاتحة.

القسم الثاني: ما يشمل كامل السورة من روايات.

نسأل الله أن يأخذ بأيدينا وأيدي المؤمنين لمرضاته، ويرزقهم

القرب من ساحة قدسه، ويَمُنَّ علينا بالقبول، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وينفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين.

شعبة التبليغ

٢٥/ رجب/ ١٤٤٠هـ

٢/ ٤/ ٢٠١٩ م

القسم الأول
ما يختص بالبسملة

❊ منزلة البسملة.

❊ تفسيرها.

❊ آثارها في الدنيا والآخرة.

إنها جزء من فاتحة الكتاب:

- عن يونس بن عبد الرحمن، عمن رفعه، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام، عن قوله تعالى: ﴿**ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم**﴾ قال: هي سورة الحمد، وهي سبع آيات، منها ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾)[1]، وفي رواية زيادة: (وإنما سميت المثاني لأنها تثنى في الركعتين)[2].

- عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**﴾ آية من فاتحة الكتاب، وهي سبع آيات، تمامها ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ**﴾ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن الله تعالى قال لي: يا محمد ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِي والْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**﴾، فأفرد الامتنان عَليَّ بفاتحة الكتاب، وجعلها بإزاء القرآن العظيم، وإن فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش، وإن الله عز وجل خصَّ

---

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ج٤، ص١٦٤.

(٢) تفسير العياشي: ج٢، ص٢٥٠، والآية٨٧ في سورة الحجر، مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ج٤، ص١٥٧.

محمداً صلى الله عليه وآله وشرَّفه بها، ولم يشرك معه فيها أحداً من أنبيائه، ما خلا سليمان عليه السلام فإنه أعطاه منها ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾، حكى عن بلقيس حين قالت: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ، إِنَّه مِنْ سُلَيْمَانَ وإِنَّه بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ ألا فمن قرأها معتقداً لموالاة محمد صلى الله عليه وآله وآله الطيبين، منقاداً لأمرها، مؤمناً بظاهرها وباطنها، أعطاه الله بكل حرف منها أفضل من الدنيا وما فيها، من أصناف أموالها وخيراتها، ومن استمع إلى قارئ يقرأها كان له قدر ما للقارىء، فليستكثر أحدكم من هذا الخير المعرض لكم فإنه غنيمة، لا يذهبن أوانه فتبقى في قلوبكم الحسرة)[1].

- وقال في دعائم الإسلام: وروينا عنهم عليهم السلام، أنهم قالوا: (يبتدأ بعد ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾، في كل ركعة بفاتحة الكتاب)[2].

- عن الحسن بن خرزاد قال: روي عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (إذا أمَّ الرجلُ القومَ، جاء شيطان إلى الشيطان الذي هو قرين الإمام، فيقول: هل ذكر الله؟ يعني: هل قرأ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾؟ فإن قال: نعم، هرب منه، وإن قال: لا، ركب عنق

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق: ص٢٤١، وعيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق: ج١، ص٢٧٠.

(٢) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ج٤، ص١٥٧.

الإمام، ودلَّى رجليه في صدره، فلم يزل الشيطان إمام القوم، حتى يفرغوا من صلاتهم)[١].

- عن سعد بن عمر الجلاب، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام، عن قول الله جل ذكره ﴿**ولَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِي والْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**﴾ قال: (هي فاتحة الكتاب) قلت: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ**﴾ منها؟ قال: (هي أفضلها لفضل منها)[٢].

- قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ**﴾، أهي من فاتحة الكتاب؟ فقال: نعم، كان رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقرأها ويعدها آية منه، ويقول: فاتحة الكتاب؟ هي السبع المثاني[٣]، فضلت بـ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ**﴾، وهي الآية السابعة منها)[٤].

- عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليهما السلام، عن جابر قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: (كيف تقرأ إذا قمت في الصلاة؟) قال: قلت:

---

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ج٤، ص١٦٥.

(٢) المصدر السابق: ج٤، ص١٦٨. وفي هامش المصدر ما لفظه: (في المصدر: هي أفضل منها).

(٣) الأمالي، الشيخ الصدوق: ص٢٤٠، بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٨٩، ص٢٢٧.

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٨٩، ص٢٢٧.

الحمد لله رب العالمين، قال: (قل: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ...)[١].

منزلة البسملة:

- عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (البسملة تيجان السور)[٢].

- عن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**﴾، قال: (فاتحة الكتاب من كنوز الجنة، وفيها ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ**﴾)، الخبر[٣].

- عن الإمام العسكري عليه السلام في تفسيره: في حديث إعطاء سليمان: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ**﴾: (فلما قرأها قال: يا رب ما أشرفها من كلمات إنها لآثر عندي من جميع ممالكي التي وهبتها لي، قال الله تعالى: يا سليمان وكيف لا يكون كذلك وما من عبد ولا أمة سماني بها إلا أوجبت له من الثواب ألف ضعف ما أوجب لمن

---

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ج٤، ص١٦٨.

(٢) شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي: ج١٢، ص٢٧٢ (رواه العلّامة أبو محمد عبد الحق الغرناطي المتوفى سنة٥٤٣ في (الجامع المحرر الصحيح الوجيز) (ص ٢٨٧ ط القاهرة).

(٣) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ج٤، ص١٦٨.

تصدق بألف ضعف مما لكك، يا سليمان هذا سُبع[١] ما أهبه إلا لمحمد سيد المرسلين)[٢].

- عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله عز وجل: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**﴾: (﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾، هو اسم الله الأكبر، والسبع المثاني أم الكتاب، يثنى بها في كل صلاة)[٣].

- عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله تعالى مَنَّ عَليَّ بفاتحة الكتاب من كنز الجنة، فيها ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾، الآية التي يقول الله تعالى فيها: ﴿**وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً**﴾[٤] الخبر[٥].

- عن خالد بن المختار، قال: سمعت جعفر بن محمد عليهما السلام يقول: (ما لهم قاتلهم الله، عمدوا إلى أعظم آية في كتاب الله، فزعموا أنها

---

(١) يعني: أنها جزء من سبعة أجزاء مما تنزل على النبي صلى الله عليه وآله، إشارة إلى سورة الفاتحة التي ورد فيها أن ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ جزء منها، كما سيأتي.

(٢) مستدرك سفينة البحار، الشيخ الشاهرودي: ج١، ص٣٥٦.

(٣) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ج٤، ص١٥٧.

(٤) سورة الإسراء: آية٤٦.

(٥) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ج٤، ص١٦٦.

بدعة إذا أظهروها، وهي: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾)[١].

- عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام، قال: (سرقوا أكرم آية في كتاب الله، ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾)[٢].

- عن صفوان الجمال، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (ما نزل كتاب من السماء الا وأوله ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾)[٣].

- عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (ما نزل كتاب من السماء، إلا وفاتحته ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾، إلا والرحمن ممدودة)[٤].

- عن فرات بن أحنف، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سمعته يقول: (أول كل كتاب نزل من السماء ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾، فإذا قرأت ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾ فلا تبالي أن لا تستعيذ، وإذا قرأت ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾ سترتك فيما بين السماء والأرض)[٥].

- عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: (من كتب: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ

---

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ج٤، ص١٦٦.

(٢) المصدر السابق: ج٤، ص١٦٧.

(٣) المحاسن، الشيخ البرقي: ج١، ص٤٠.

(٤) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ج٤، ص١٦٦.

(٥) الكافي، الشيخ الكليني: ج٣، ص٣١٣.

الرَّحِيمِ﴾، فجوَّده تعظيماً لله، غفر الله له)[١].

– عن صفوان الجمال، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (ما أنزل الله من السماء كتاباً، إلا وفاتحته: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ**﴾، وإنما كان يعرف انقضاء السورة، بنزول: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ**﴾ ابتداء للأخرى)[٢].

بـداية كل شيء:

– عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب عليهم السلام، قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كل كتاب لا يبدأ فيه بذكر الله فهو أقطع)[٣].

– عن جميل بن دراج قال: قال الإمام الصادق عليه السلام: (لا تدع ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ**﴾، وإن كان بعده شعر)[٤].

وفي الحديث القدسي: (كلّ أمر ذي بال لا يذكر بسم الله فيه فهو أبتر)[٥].

---

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ج٤، ص٣٧١.

(٢) المصدر السابق: ج٤، ص١٦٥.

(٣) المصدر السابق: ج٨، ص٤٣٤.

(٤) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢، ص٦٧٢.

(٥) هداية الأمة إلى أحكام الأئمة، الحر العاملي: ج٣، ص١٣٤.

وقال تعالى: (أنا أحقّ من سئل، وأولى من تضرّع إليه، فقولوا عند كلّ صغير أو عظيم: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ﴾)[١].

وقال الصّادق عليه السلام: (لربما ترك بعض شيعتنا في افتتاح أمره ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ﴾، فيمتحنه الله بمكروه لينبّه على ذكر الله والثّناء عليه)[٢].

- عن يوسف بن محمد بن زياد وعلي بن محمد بن سيار، وكان من الشيعة الإمامية، عن أبويهما عن الحسن بن علي العسكري عن آبائه عن علي عليه السلام - في حديث -، قال: (إن الله يقول أنا أحق مَن سُئل وأولى مَن تُضرِّع إليه، فقولوا عند افتتاح كل أمر صغير وعظيم: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ﴾، أي: أستعين على هذا الأمر بالله الذي لا تحق العبادة لغيره، المغيث إذا استغيث، إلى أن قال: (وقال رسول الله صلى الله عليه وآله من حزنه أمر يتعاطاه فقال: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ﴾، وهو مخلص لله، ويقبل بقلبه إليه، لم ينفك من إحدى اثنتين: إما بلوغ حاجته في الدنيا، وإما يُعدُّ له عند ربه، ويُدَّخَر له لديه، وما عند الله خير وأبقى للمؤمنين)[٣].

- عن الحسن بن علي العسكري في تفسيره عن آبائه عن علي عليه السلام

(١) هداية الأمة إلى أحكام الأئمة، الحر العاملي: ج٣، ص١٣٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج٤، ص١١٩٣.

(في حديث) أن رجلاً قال له: إن رأيت أن تُعرَّفَني ذنبي الذي امتُحِنتُ به في هذا المجلس، فقال: تركك حين جلست أن تقول: بسم الله الرحمن الرحيم، إن رسول الله صلى الله عليه وآله حدثني عن الله عز وجل أنه قال: كل أمر ذي بال لا يذكر بسم الله فيه فهو أبتر[١].

المراد بـ(بِسْمِ اللهِ):

هناك اختلاف في الروايات فيما وقع فيها من التعبير الوارد الحث عليه في الذكر أو الكتابة لأغراض مختلفة، فقد ورد في بعض الروايات صيغة (بسم الله) فقط، وفي بعضها عنوان (البسملة)، وفي موارد أخرى ورد: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ**﴾، فهل هذا التغير في التعبير يشير إلى اختلاف في المراد، أو أن المراد واحد والاختلاف من ناحية التعبير فقط؟

والجواب:

- إذا كان الوارد في الروايات لفظ صريح، من قبيل: قل: (بسم الله)، أو: (بسم الله الرحمن الرحيم)، فمقتضى الجمود على لفظه في خصوص ذلك المورد التعبد به.

- و إذا كانت هناك قرينة حافة بالكلام بحيث يفهم منها المراد، فلا إشكال أيضاً في وجوب الأخذ بذاك المعنى المفهوم من

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج٤، ص١١٩٣.

مجموع ذلك الكلام بحسب قرينته، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: (من ذكر اسم الله على طعامه، لم يُسأل عن ذلك الطعام أبداً)[١]، وورد في وصية رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: (يا علي إذا أكلت فقل: (بسم الله)، وإذا فرغت فقل: (الحمد لله)، فإن حافظيك لا يبرحان يكتبان لك الحسنات حتى تبعده عنك)[٢]. فإن هذه الرواية الثانية قرينة على أن المراد من (اسم الله) هو خصوص: (بسم الله)، باعتبار وحدة الموضوع، فتحمل الرواية الثانية على تفصيل المراد من الأولى.

ولكن لو لم تكن هناك قرينة، فقد يقال بأنه لا بد في مورد التعبير بصيغة: (بسم الله)، مجردةً الأخذُ بها كذلك، من دون زيادة، واعتبارها هي الموضوع للحكم الذي ترتب عليها بحسب ذلك النص، من الثواب أو الفضل أو سائر الأمور، وكذا لو كان مع الزيادة.

ولكن هناك احتمال آخر في المقام، وهو أنه قد يراد من التعبير من صيغة: (بسم الله)، ليس التحديد بهاتين الكلمتين فقط من دون زيادة، بل الإشارة المختصرة للصيغة الكاملة التي هي مفتتح السور في القرآن الكريم، وإنما ذكرت بهذا النحو اختصاراً فقط،

(١) ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق: ص١٨٤.

(٢) المصدر السابق.

وهذا الاحتمال ناشئ من روايات عبَّرت بذلك ثم عقبته بالصيغة الكاملة، أو العكس، فعن الصادق عليه السلام: (ولربما ترك بعض شيعتنا في افتتاح أمره ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾، فيمتحنه الله بمكروه لينبه على شكر الله والثناء عليه ويمحق وصمة تقصيره عند تركه قول: (بسم الله))[1]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال في حديث: (... تركك حين جلستَ أن تقول: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾، فجعل الله ذلك لِسَهْوِك عما نُدبتَ إليه، تمحيصاً بما أصابك، أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله حدثني عن الله جل وعز أنه قال: كل أمر ذي بال لم يذكر فيه (بسم الله) فهو أبتر...)[2]، ففي الحديث الأول يتضح أن قول الإمام عليه السلام في الأخير: (..قول بسم الله)، هو اختصار لما ذكره مفصلاً في بداية كلامه، وهو البسملة الكاملة، ويظهر - في الحديث الثاني - من قول الرسول صلى الله عليه وآله: (لم يذكر فيه بسم الله)، بقرينة إخبار الإمام عليه السلام، أنه بصدد تطبيق حديث النبي صلى الله عليه وآله، يظهر منه أن المراد منها الصيغة الكاملة.

وعليه فلو استظهرنا من جملة هذه الروايات انعقاد مصطلح خاص من الصيغة المختصرة يراد بها الصيغة الكاملة فلا بأس.

ولكن يبقى الأمر محل إشكال، ولابد معه من الاحتياط

(١) سيأتي تمام الحديث ص٢٥.

(٢) سيأتي تمام الحديث ص٦٦.

بذكر الصيغة الكاملة في كل مورد، إذا لم يفهم من الاقتصار على الصيغة المختصرة التحديد بإرادتها بخصوصها، وهو أمر قد يستبعد الإلتزام به، وعليه فيمكن الاحتياط بما ذكرنا.

هذا وأما فيما يتعلق بصيغة: (البسملة)، فهي مصدر منحوت من: (بسم الله) أيضاً، فيأتي فيها بدواً الكلام السابق، وإن كان الأقرب فيها عند إطلاقها من دون قرينة إرادة الصيغة الكاملة التي هي مفتتح السور في القرآن الكريم.

بقي أمر وهو ما لو ذكر عنوان (التسمية)، فما المراد به؟

الظاهر أن المراد منه هو ذكر الاسم الشريف فقط، من دون ملاحظة شيء آخر، وتكون بذلك مرادفة لمعنى الاسم، قالتسمية والاسم يمعنى واحد، والمناط في ذلك الفهم العرفي، فإذا قيل لشخص: ما اسم هذا الشخص؟ أو ما تسميته؟ يكون المعنى واحداً، والله العالم.

اسم الله الأعظم أو اسم الله الأكبر:

- منها برواية ابن عباس قال صلى الله عليه وآله: (﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ**﴾، اسم من أسماء الله الأكبر وما بينه وبين اسم الله الأكبر إلا كما بين سواد العين وبياضها من القرب)[1].

(١) مهج الدعوات ومنهج العبادات، السيد ابن طاووس: ص٣١٩.

- محمد بن الحسن الصفار في كتاب فضل الدعاء بإسناده إلى معاوية بن عمار، عن الصادق عليه السلام أنه قال: (﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ**﴾ اسم الله الأكبر، أو قال: الأعظم)[١].

- عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (اسم الله الأعظم مُقَطَّع في أم الكتاب)[٢].

- محمد بن الحسن الصفار بإسناده إلى سليمان بن جعفر الجعفري، عن الرضا عليه السلام قال: (من قال بعد صلاة الفجر: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ**﴾، (**لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**)، مائة مرة، كان أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها، وإنه دخل فيها اسم الله الأعظم)[٣].

---

(١) مهج الدعوات ومنهج العبادات، السيد ابن طاووس: ص٣١٦، وعنه في بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٩٠، ص٢٢٣.

(٢) المصدران السابقان.

(٣) المصدران السابقان، واللفظ في بحار الأنوار: (عن الرضا عليه السلام قال: من بسمل وحولق بعد صلاة الفجر مائة مرة كان أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها وأنه دخل فيها اسم الله الأعظم).

تفسيرها:

لا بد قبل أن نستعرض تفسير البسملة أن نستعرض الروايات الواردة في تفسيرها، لنكون على اطلاع تام على ما ذكره أهل البيت عليهم السلام من معاني عميقة فيما يتعلق بالبسملة، ثم لنفهم ما يشار إليه في تفسيرها من روايات أو معاني تضمنتها الروايات، فلذا نقسم البحث عن تفسيرها إلى قسمين:

أولاً: تفسير البسملة من الروايات الشريفة:

بداية نشير إلى أن البسملة من الفاتحة وهي أعظم آية في كتاب الله كما سيأتي، ولا يحيط بكنهها أحد إلا المعصوم عليه السلام، والروايات في هذا المعنى كثيرة ومختلفة، ونحن سنعرضها ونشير إلى ما يمكن أن يقال في وجه الاختلاف فيها:

فقد ورد عن علي عليه السلام أنه قال: (لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً في تفسير فاتحة الكتاب)[1].

وعنه عليه السلام: (لو شئت لأوقرت بعيراً من تفسير ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ﴾)[2].

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٤٠، ص١٥٧، مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج١، ص ٣٢٢.

(٢) شرح إحقاق الحق (الملحقات)، السيد المرعشي: ج٧، ص٥٩٥، عن ابن

وفي حديث آخر عنه عليه السلام: (لو شئت لأوقرت أربعين بعيراً من شرح: ﴿بِسْمِ اللهِ﴾)[١].

وفي نص آخر عنه عليه السلام: (لو شئت لأوقرت ثمانين بعيراً من معنى الباء)[٢].

وروي عنه عليه السلام أنه قال: (لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من باء ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ﴾)[٣].

وعن ابن عباس قال: (يشرح لنا علي عليه السلام نقطة الباء من ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ﴾ ليلة؛ فانفلق عمود الصبح، وهو بعد لم يفرغ)[٤].

قال السيد جعفر العاملي في مناقشة هذا التعدد في الروايات

طلحة في مطالب السؤل: ص٢٦، وراجع: كشف الغمة، الأربلي: ج١، ص١٣٠، والتفسير الكبير، الرازي: ج١، ص١٠٦، ومستدرك سفينة البحار، الشيخ الشاهرودي: ج١، ص٢٣١ و٣١٦.

(١) بحار الانوار، العلامة المجلسي: ج٤٠، ص١٨٦.

(٢) مستدرك سفينة البحار، الشيخ الشاهرودي: ج١، ص٢٣١ وشرح إحقاق الحق، السيد المرعشي: ج٧، ص٥٩٥ عن الشعراني في لطائف المنن: ج١، ص١٧١، وراجع: جامع الأخبار والآثار، الأبطحي: ج٢، ص٤٨.

(٣) عوالي اللآلئ، ابن أبي جمهور الإحسائي: ج٤، ص ١٠٢.

(٤) مستدرك سفينة البحار، الشيخ الشاهرودي: ج١، ص٢٣١..

في ضمن نقاط:

١- إنه قد لا يكون ثمة منافاة بين البعير الواحد، والأربعين والثمانين بعيراً؛ إذا كان عليه السلام قد قال ذلك في مجالس ومناسبات مختلفة، اقتضت كل مناسبة منها أن يشير إلى مستوى معين من المعاني والمعارف، بل وحتى في مجلس واحد، فإن ذكر الأقل لا ينافي ذكر الأكثر ولا يناقضه، فهو لو شاء لأوقر بعيراً، ولو شاء لأوقر أكثر من ذلك إلى أربعين. بل لو شاء لأوقر ثمانين أيضاً.

٢- إن سعة علم علي عليه السلام وغزارته مما لا يختلف فيه اثنان، وقد أثبت عليه السلام عملاً ما يقرِّب إلى الأذهان معقولية تلك الأقوال وواقعيتها.

٣- إنه عليه السلام بقوله هذا يريد أن يفتح الآفاق الرحبة أمام فكر الإنسان لينطلق فيها، ويكتشف أسرار الكون والحياة، ويتعامل معها من موقع العلم والمعرفة ويقود مسيرة الحياة فيها من موقع الطموح والهيمنة الواعية والمسؤولة.

٤- إن هذه الأرقام ليست خيالية بالنسبة لسورة الفاتحة، التي هي أم القرآن، وهي السبع المثاني التي جعلت عدلاً للقرآن العظيم في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ**

الْعَظِيمَ﴾(١) كما روي(٢).

كما أن ذلك ليس بعيداً عن: **﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ﴾**، أعظم آية في كتاب الله العزيز. كما روي عن الإمامين الصادق وأبي الحسن الكاظم عليهما السلام(٣).

٥- أما بالنسبة لحديث نقطة الباء، فلا ندري مدى صحته، بعد أن كان المؤرخون يذكرون أن تنقيط الحروف قد تأخر عن عهد الإمام علي عليه السلام بعدة عقود من الزمن، إلا أن يكون ثمة نقط لبعض الحروف في أول الأمر، ثم استوفي النقط لسائرها بعد ذلك(٤).

---

(١) سورة الحجر: آية٨٧.

(٢) البرهان في تفسير القران، السيد هاشم البحراني: ج١، ص٤٠ و٤١ و٤٢، وغرائب القرآن مطبوع بهامش (جامع البيان): ج١، ص٢٨، وتفسير العياشي: ج١ ص٢١.

(٣) راجع: البحار، العلامة المجلسي: ج٨٢، ص٢١ وج٨٩ ص٢٣٨، عن تفسير العياشي: ج١، ص٢٢ و٢١، تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج١، ص١٩، البرهان في تفسير القران، السيد هاشم البحراني: ج١، ص٤٢، والتفسير الكبير، الرازي: ج١، ص٢٠٤، ومستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ج٤، ص١٦٦ و١٦٧، وجامع الاخبار والآثار، الأبطحي: ج٢، ص٦٢ و٦١ و٦٣ عن من تقدم، وعن مواهب الرحمن، السيد السبزواري: ج١، ص٢٢-٢٧.

(٤) تفسير سورة الفاتحة، السيد جعفر مرتضى العاملي: ص٧.

ثم نشرع بيان ما ورد في الروايات الشريفة في تفسير البسملة، فنقول:

عن يوسف بن محمد بن زياد وعلي بن محمد بن سيار وكان من الشيعة الإمامية عن أبويهما عن الحسن بن علي العسكري عن آبائه عن علي عليهم السلام - في حديث -، قال: (إن الله يقول أنا أحق مَن سُئل وأولى مَن تُضرِّع إليه، فقولوا عند افتتاح كل أمر صغير وعظيم: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ**﴾، أي: أستعين على هذا الأمر بالله الذي لا تحق العبادة لغيره، المغيث إذا استغيث)، الحديث[1].

وبهذا الإسناد عن الإمام العسكري عليه السلام، قال: (بسم الله)، أي: أستعين على أموري كلها بالله ...إلى أن قال: وقال الصادق عليه السلام ولربما ترك بعض شيعتنا في افتتاح أمره ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ**﴾ فيمتحنه الله بمكروه ليُنبه على شكر الله والثناء عليه ويمحق وصمة تقصيره عند تركه قول (بسم الله)، قال: وقال الله عز وجل لعباده: أيها الفقراء إلى رحمتي، قد ألزمتكم الحاجة إليَّ في كل حال، وذلة العبودية في كل وقت، فإليَّ فافزعوا في كل أمر تأخذون فيه وترجون تمامه وبلوغ غايته، فقولوا عند افتتاح كل أمر صغير أو عظيم: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ**﴾، أي: أستعين على هذا الأمر بالله، الحديث، ورواه العسكري عليه السلام في تفسيره إلى

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج٤، ص١١٩٣.

قوله عند تركه قول: (بسم الله)، وكذا الذي قبله[١].

- عن علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه، قال: سألت الرضا علي بن موسى عليهما السلام، عن: (بسم الله)، قال: (معنى قول القائل: (بسم الله)، أي: اسم على نفسي، سمة من سمات الله عز وجل، وهي العبادة)، قال: فقلت له: ما السمة؟ فقال: (العلامة)[٢].

- عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام - في تفسير ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾ - فقال: (الباء بهاء الله، والسين سناء الله، والميم مجد الله)[٣].

- عن صفوان بن يحيى، عمن حدثه، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عن ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾، فقال: (الباء بهاء الله، والسين سناء الله، والميم ملك الله)، قال: قلت: الله؟ قال: (الألف آلاء الله على خلقه من النعيم بولايتنا، واللام إلزام الله خلقه ولايتنا)، قلت: فالهاء؟ قال: (هوان لمن خالف محمداً وآل محمد صلوات الله عليهم)، قال: قلت: الرحمن؟ قال: (بجميع العالم)،

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج٤، ص١١٩٣.

(٢) التوحيد، الشيخ الصدوق: ص٢٢٩، بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٨٩، ص٢٣٠.

(٣) تفسير العياشي: ج١، ص٢٢، التوحيد، الشيخ الصدوق: ص٢٢٩.

قلت: الرحيم؟ قال: (بالمؤمنين خاصة)[١].

- عن الحسن بن راشد، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام قال: سألته عن معنى الله، قال: (استولى على ما دق وجل)[٢].

- حدثنا محمد بن القاسم الجرجاني المفسر (رحمه الله) قال: حدثنا أبو يعقوب يوسف بن محمد بن زياد، وأبو الحسن علي بن محمد بن سيار وكانا من الشيعة الإمامية عن أبويهما عن الحسن بن علي بن محمد عليهم السلام في قول الله عز وجل: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ**﴾؟ فقال عليه السلام: (الله هو الذي يُتأله إليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق عند انقطاع الرجاء من كل من هو دونه، وتقطع الأسباب من جميع ما سواه، يقول: (بسم الله)، أي: أستعين على أموري كلها بالله الذي لا تحق العبادة إلا له، المغيث إذا استغيث، والمجيب إذ دُعي، وهو ما قال رجل للصادق عليه السلام: يا ابن رسول الله دُلَّني على الله ما هو؟ فقد أكثر عليَّ المجادلون وحيَّروني، فقال له: يا عبد الله هل ركبت سفينة قط؟ قال: نعم قال: فهل كُسر بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟ قال: نعم، قال: فهل تعلق قلبك هنالك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يُخلِّصك من ورطتك؟ فقال نعم، قال الصادق عليه السلام: فذلك

(١) التوحيد، الشيخ الصدوق: ص٢٢٩.

(٢) المصدر السابق.

الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجي، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث، ثم قال الصادق عليه السلام: ولربما ترك بعض شيعتنا في افتتاح أمره بسم الله الرحمن الرحيم فيمتحنه الله بمكروه لينبهه على شكر الله تبارك وتعالى والثناء عليه ويمحق عنه وصمة تقصيره عند تركه قول بسم الله الرحمن الرحيم)[1].

- قام رجل إلى علي بن الحسين عليهما السلام، فقال: أخبرني عن معنى: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ**﴾؟، فقال علي بن الحسين عليهما السلام: (حدثني أبي، عن أخيه الحسن، عن أبيه أمير المؤمنين عليهم السلام أن رجلاً قام إليه: فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ**﴾، ما معناه؟ فقال: إن قولك: (الله) أعظم اسم من أسماء الله عز وجل، وهو الاسم الذي لا ينبغي أن يُسمَّى به غير الله، ولم يَتَسمَّ به مخلوق، فقال الرجل فما تفسير قوله: (الله)؟ قال الذي يتأله إليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق عند انقطاع الرجاء من جميع من هو دونه، وتقطع الأسباب من كل من سواه، وذلك أن كل مترئِّس في هذه الدنيا ومتعظم فيها، وإن عظم غناؤه وطغيانه وكثرت حوائج مَن دونه إليه، فإنهم سيحتاجون حوائج لا يقدر عليها هذا المتعاظم، وكذلك هذا المتعاظم يحتاج حوائج لا يقدر عليها، فينقطع إلى الله عند ضرورته وفاقته، حتى إذا كُفي

(١) التوحيد، الشيخ الصدوق: ص٢٣٠- ٢٣١.

همه عاد إلى شركه، أما تسمع الله عز وجل يقول: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاء وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ**﴾ فقال الله عز وجل لعباده: أيها الفقراء إلى رحمتي إني قد ألزمتكم الحاجة إليَّ في كل حال، وذلة العبودية في كل وقت، فإلي فافزعوا في كل أمر تأخذون فيه وترجون تمامه وبلوغ غايته، فإني إن أردت أن أعطيكم لم يقدر غيري على منعكم، وإن أردت أن أمنعكم لم يقدر غيري على إعطائكم، فأنا أحق من سُئل، وأولى من تضرع إليه، فقولوا عند افتتاح كل أمر صغير أو عظيم: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ**﴾، أي: أستعين على هذا الأمر بالله الذي لا يحق العبادة لغيره، المغيث إذا استغيث، المجيب إذا دعي، الرحمن الذي يرحم ببسط الرزق علينا، الرحيم بنا في أديانا ودنيانا وآخرتنا، خفف علينا الدين وجعله سهلاً خفيفاً، وهو يرحمنا بتميزنا من أعدائه)، ثم قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من حزنه أمر تعاطاه فقال: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ**﴾، وهو مخلص لله يقبل بقلبه إليه لم ينفك من إحدى اثنتين: إما بلوغ حاجته في الدنيا وإما يعد له عند ربه ويُدَّخر لديه، وما عند الله خير وأبقى للمؤمنين)[1].

- عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام، قال: (لما وُلِد

(١) التوحيد، الشيخ الصدوق: ص٢٣١.

عيسى بن مريم عليه السلام كان ابن يوم كأنه ابن شهرين، فلما كان ابن سبعة أشهر أخذت والدته بيده وجاءت به إلى الكُتَّاب وأقعدته بين يدي المؤدِّب، فقال له المؤدِّب: قل ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾، فقال عيسى عليه السلام: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾، فقال له المؤدب: قل: أبجد، فرفع عيسى عليه السلام رأسه فقال: هل تدري ما أبجد؟ فعلاه بالدرة ليضربه، فقال: يا مؤدب لا تضربني، إن كنت تدري وإلا فاسألني حتى أفسِّر لك، قال: فسِّره لي، فقال عيسى عليه السلام: الألف آلاء الله، والباء بهجة الله، والجيم جمال الله، والدال دين الله، (هوز): الهاء هول جهنم، والواو ويل لأهل النار، والزاي زفير جنهم، (حطي): حطت الخطايا عن المستغفرين. (كلمن): كلام الله لا مبدل لكلماته، (سعفص): صاع بصاع والجزاء بالجزاء، (قرشت): قرشهم فحشرهم، فقال المؤدب: أيتها المرأة خذي بيد ابنك، فقد علم ولا حاجة له في المؤدِّب)[1].

(١) التوحيد، الشيخ الصدوق: ص٢٣٦. كذا في جميع الموارد التي روت الحديث، لم تكتمل حروف أبجد في الشرح.

ثانياً: تفسيرها من كتب التفسير:

تعددت كلمات العلماء في بيان تفسير البسملة بتعدد كتب التفسير ومناهجهم التفسيرية، واستقصاء البحث في ذلك يؤدي إلى التطويل وربما ملل القارئ الكريم مع صعوبة بعض العبارات وبعدها عن فهم البعض، فنحن اختصاراً نذكر أحد التفاسير المعاصرة التي شملت جوانب متعددة من مضامين البسملة وبِلُغة بسيطة قريبة من أفهام الجميع، فنقول:

ذكر السيد جعفر مرتضى العاملي في تفسيره للبسملة من سورة الفاتحة ما يأتي من المطالب:

بداية وتمهيد:

قد عرفنا: أن البسملة هي أعظم آية في القرآن الكريم، وعرفنا ما نقل عن علي أمير المؤمنين عليه السلام حول تفسيرها، وما يمكن أن يقدمه للأمة من شرح قد تنامى واتسع حتى يمكن كتابة الأسفار التي تنوء بحملها العشرات من وسائل الحمل التي كانت متوفرة آنئذٍ.

وقد تحدث المفسرون عن أمور كثيرة ومتنوعة حول الآية الكريمة التي نرددها عشرات المرات يومياً، وفقاً لما ورد عن الشرع الشريف في ذلك، وأكثر ما ذكروه يدخل في السياق اللغوي

والتركيبي وطبيعته ومناشئه وغير ذلك.

ونحن هنا نحيل القارئ على ما كتبوه، إن أحب الإطلاع عليه، أما نحن فنتجه إلى منحى آخر فيما نريد أن نثيره من دلالات وإيماءات هذه الآية المباركة، فنقول:

البدء باسم الله:

لقد ورد في الحديث الشريف، عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله، أنه قال: (كل أمر ذي بال لم يذكر فيه اسم الله، أو «بسم الله» فهو أبتر)[١]، وفي حديث آخر: (كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر)[٢]، وعن أبي هريرة عنه صلى الله عليه وآله: (كل كلام أو أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله عز وجل فهو أبتر)، أو قال: (أقطع)[٣].

والسؤال هنا هو: لماذا يطلب منا أن ننظر إلى البسملة، أو فقل: أن نتعامل مع ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ**﴾، على أنها جزء من كل أمر ذي بال، أي: شأن؟ ثم ما هي المعاني التي يريد الله أن

---

(١) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ص٢٥، وبحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٨٩، ص٢٤٢، وج٧٣، ص٣٠٥، والبرهان في تفسير القران، السيد هاشم البحراني: ج١، ص٤٦.

(٢) التفسير الكبير، الرازي: ج١، ص٢١٣، وجامع الأخبار والآثار، الأبطحي: ج٢، ص٦٦ عنه.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ج٢، ص٣٥٩.

يلقننا إياها من خلال التركيز على البسملة، ويطلب منا أن نعيشها الى درجة أن تصبح جزءاً من حياتنا وممارساتنا؟

إن مما لا شك فيه أن ثمة معانٍ جميلة ومميزة ولطائف ومعارف في ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ﴾، يريد تعالى منا أن ندركها بعمق، وأن نتفاعل معها بوعي ومسؤولية، فما هي تلك المعاني؟، وهل يمكننا نيلها أو نيل بعضها ولو بدرجة متواضعة؟.

إننا قبل كل شيء نشير الى ما ذكره العلامة الطباطبائي رحمه الله من أن الناس ربما يبدءون في عمل، أو يحققون إنجازاً فيقرنونه باسم عزيز على قلوبهم، أو كبير من كبرائهم، ليكتسب عملهم بذلك شرفاً، أو بركة، أو ليخلدوا اسم ذلك العزيز، أو الكبير ويبقى ببقاء ذلك العمل، ومن هنا نجدهم يسمُّون انساناً أو مؤسسة، أو غير ذلك بإسم من يحبونه، أو يعظمونه ليبقى الاسم ببقاء المسمى الجديد، لأن بقاء المسمى والحالة هذه نوع بقاء للاسم، ثم لصاحب الإسم الحقيقي، ومن هذا القبيل من يسمي ولده باسم والده تكريماً لذلك الوالد[1]، ونقول:

إننا لا ننكر: أن الأمر ينتهي إلى التشريف، والتكريم والبركة، ولكن الأمر بالنسبة لإعتبار البسملة جزءاً من كل أمر لا يقتصر

(١) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي: ج١، ص١٥، تفسير البسملة.

على هذه الاعتبارات التي يتعامل معها الناس بالطريقة العامية والسطحية، بل هو يتجاوزه ليكون على مستوى الطريقة الإلهية، التي تمثل العمق والأصالة والدقة.

وذلك لأن كلاّ منا يريد البركة ويتطلبها، وهي تعني الزيادة والنمو والتكامل المعنوي والمادي، ولكننا حين نجد أنهم عليهم السلام قد طلبوا منا أن لا ندع البسملة في أي شيء صغيراً كان أو كبيراً[1]، وبدونها سيكون مبتوراً وناقصاً، فإن ذلك يعني أن الأمر ليس مجرد بركة وشرف وتكريم، بل هو أكبر من ذلك وأهم.

ويلفت نظرنا هنا قوله صلى الله عليه وآله: (لا يبدأ فيه)، ولم يقل: ليس معه، أو: لم يسبقه.

النقص في البداية وفي النهاية:

ولا بد أيضاً من التوقف والتأمل في هذا التقابل الذي يقرره هذا الحديث؛ حيث فرض أن البدء من جهة هو نفسه الذي يوجب النقص أو الكمال في الجهة المقابلة، مع أنك إذا قلت: إذا لم تفعل الأمر الفلاني، فإن عملك سيكون ناقصاً، فإن نقصه إنما يكون من جهة نفس عدم فعلك للأمر الفلاني المشار إليه آنفاً، ولكن الأمر

(١) راجع: البرهان في تفسير القران، السيد هاشم البحراني: ج١، ص ٤٥ - ٤٦، وتفسير الإمام العسكري عليه السلام، المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ص٢٢، وبحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٨٩، ص٢٤٠.

هنا ليس كذلك، فإن النقص للبسملة إنما جاء في جهة أول الفعل، والبتر والنقص قد جاء في آخره؛ لأن المبتور هو مقطوع الآخر أو الذنب، والأقطع هو مبتور اليد، ونقول:

إن نقصان آخره إنما هو من حيث إنقطاعه عن البقاء والدوام، فهو أبتر لانقطاع آخره، ولعلنا نستطيع أن نفهم مبرر هذا الأمر في ذكر مثال تقريبي هو:

إن الله تعالى يقول: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ**﴾[2]، فقد يقول قائل: إن المراد بوجه الله هو الله تعالى نفسه، فكأنه قال: ويبقى الله ذو الجلال والإكرام، وكأنه قال: أينما تولوا فثم الله تعالى نفسه، ولكن هذا التفسير يبقى غير كاف ولا واف بالمقصود، وذلك للأمور التالية:

١- إنه لا مجال لأن يضاف الشيء إلى نفسه، فالإضافة والنسبة دليل المغايرة بين المضاف والمنسوب، وهو (وجه)، وبين المنسوب والمضاف إليه، وهو (الله).

٢- هذا، بالإضافة إلى ما ورد من أن أهل البيت عليهم السلام هم

---

(١) سورة الرحمن: آية٢٦ و٢٧.

(٢) سورة البقرة: آية١١٥.

وجه الله، فهل يعني ذلك أنهم عليهم السلام هم الذات الإلهية نفسها؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٣- وإذا كان كل شيء هالك إلا نفس الذات الإلهية، فعلى الإسلام، وكل أعمال الخير والبر والصلاح السلام، لأنها كلها أيضاً أشياء، فهل هي هالكة أيضاً؟

٤- قال تعالى: ﴿**مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللهِ بَاقٍ**﴾[١]، ولا معنى لفناء كل شيء مع بقاء الأشياء التي عند الله أيضاً.

والتفسير الصحيح لهذه الآية، ولآيتي سورة الرحمان والبقرة هو أن كل شيء من حيث الوجود المادي يفنى، ولكنه من حيث الوجود المعنوي باق، إذا كانت وجهته إلى الله سبحانه، لأن نسبته إليه، وكونه باتجاهه تعالى تكسبه حالةً من نوعٍ ما تجعله يبقى ويستمر بسببها، ويشهد لذلك آيات وأحاديث كثيرة، فلنقرأ قوله تعالى: ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً**﴾[٢]، إذ لو كان لوجه الله لما جعله كذلك، وقوله تعالى: ﴿**أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ**﴾[٣].

(١) سورة النحل: آية٩٦.

(٢) سورة الفرقان: آية٢٣.

(٣) سورة النور: آية٣٩.

إذن، فكل شيء وجهته إلى الله سبحانه يكون فيه جهة بقاء، ودوام، وخلود، والذي لا يكون كذلك فهو هباء منثور، كسراب بقيعة، أبتر، وكمثال على ما نقول: إذا تبرع أحدهم بمبلغ من المال لغير وجه الله، فمن جهة الحدوث لا شك في أن ذلك قد حدث، ولكن من جهة البقاء فليس ثمة ما يوجب بقاءه؛ لأنه يفقد عنصر البقاء، وذلك مثل العدالة التي هي شرط في إمام الجماعة، ولكن مجرد حدوثها فيه لا يكفي بل لابد من بقاء تلك العدالة واستمرارها، بحيث لو فسق في آخر جزء من الصلاة، فإن الصلاة تبطل بجميع أجزائها.

الباء للاستعانة أم للملابسة:

وعن سؤال: هل الباء للمصاحبة؟ أم للاستعانة، أم للتعدية، أم لمجرد الملابسة؟ أم لغير ذلك؟

نجيب: إن بعض المفسرين رجحوا أنها للاستعانة، وذلك لأن الإنسان مفتقر بذاته، محتاج إلى الغني بذاته، ونحن نرجح أنها للملابسة، وذلك لأننا إذا رجعنا إلى حديث: كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر، فإننا ندرك: أن الباء ليست للمصاحبة، أو الاستعانة، أو لغير ذلك وإنما هي لمجرد الملابسة، لأن قوله: لا يبدأ فيه، إنما يعني أن البسملة جزء من الأمر الذي نعمله، وإلا

لكان اللازم أن يقال: كل أمر ذي بال لا يستعان فيه أو لا تصاحبه، وجزئية البسملة هذه لا تتلاءم إلا مع كون الباء لمجرد الملابسة.

لماذا التركيز على الاسم؟

ومن الملاحظ: أن الحديث هنا قد جاء عن الاسم، وأيضاً: ان الآيات القرآنية، تهتم بالاسم وتسلط الضوء على الأسماء، باستثناء البعض من تلك الآيات التي تعدت ذلك إلى الحديث عن الذات الإلهية المقدسة، فاقرأ مثلاً قوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾[1]، و﴿**فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ**﴾[2]، و﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾[3]، فلماذا هذا التركيز والاهتمام بالاسم والأسماء؟ ونجيب بسؤال: هل نحن قادرون بالنسبة للذات الإلهية على استكناه حقيقة المسمى وتصوره؟ بل هل نستطيع أن نتصور كنه أسمائه تعالى، فضلاً عن المسمى؟

الجواب: طبعاً، لا، إن غاية ما نتصوره هو الحد الأدنى والجانب الميسور والقريب من الاسم، والقادر على أن يشير إلى المسمى إشارة خفيفة وبسيطة تكفي لأن تجعلنا نتضرع إلى الله به، لأنه يعطينا هذا المستوى من الإدراك، وهو سبحانه يقبل ذلك منا:

(١) سورة العلق: آية١.

(٢) سورة الواقعة: آية٧٤ و٩٦.

(٣) سورة الأعراف: آية١٨٠.

لأننا غير قادرين على أكثر منه، وقد أمرنا بالابتعاد عن التعمق في التفكير في ذات الله سبحانه[١]، لأنه أمر فوق العقل.

وهكذا يتضح: أنه لا مبرر لما يقوله بعضهم من أن الاسم هو عين المسمى، وكذلك العكس، ويزيد من وضوح عدم صحة ذلك أنه لا ينسجم مع قوله تعالى: ﴿**وَلِلهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾[٢]، حيث جعل الله الأسماء الحسنى وسيلة إلى ندائه تعالى إن كان المعنى: نادوه بها أو وسيلة للتوصل إلى نيل رضاه سبحانه، فلو كان الاسم عين المسمى لم يصح الأمر بدعاء الله بها، ولم يصح إضافتها ونسبتها إليه تعالى.

الأسماء الحسنى وسيلة الدعاء:

أما لماذا طلب منا سبحانه أن نجعل أسماءه الحسنى وسيلة دعائنا له؟ أو لماذا طلب منا أن ننادي الله بواسطة أسمائه الحسنى؟ كقولك خاطب زيداً باسمه، مقابل خطابه بلقبه مثلاً، فلأن الاسم قد وضع لمعان حسية، أو قريبة من الحس، أريد منها هنا أن تعبر عن معان راقية وعالية، وبمقدار ما تترقى مدارك واستعدادات البشر وتتنامى، فإن ذلك يؤثر على مستوى ودرجات فهمهم ونيلهم لتلك المعاني السامية، وتتفاوت درجات انكشافها لهم، فإذا سمعنا

(١) راجع بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٢، ص٢٥٩.

(٢) سورة الأعراف: آية ١٨٠.

كلمة رؤوف، رحيم، كريم، قوي، الخ، مضافة إلى الذات الإلهية فإن كلاً منا يفهم درجة من تلك الرأفة والرحمة، وأما حقيقة رحمته تعالى وكرمه وقوته، فلا يمكن لنا إدراكها.

ومن جهة أخرى: إننا نتعامل مع هذه الأسماء من خلال مزيج من الإدراكات العقلية، والفطرية، مع الأحاسيس والمشاعر الفطرية والوجدانية، فهي ليست أسماء ذات طابع عقلي فلسفي محض، فصفات العزيز الجبار، الرحيم الشافي، التواب، الحنان الخ، هي أسماء تحاكي الفطرة وتناجيها، وتناغيها، وتلامس الضمير والوجدان، وتثيره، وتشعر من خلالها بأنك قريب من الله، مع أنك لا تستطيع أن تدرك نفس الذات.

ومن هنا نعرف السر في أنه تعالى قد أمرنا أن ندعوه بواسطة تلك الأسماء، وأن نجعلها وسيلتنا في الدعاء، لأننا حينما نتوجه إليه بالدعاء نكون بأمّس الحاجة إلى الإحساس والشعور به عز وجل، لا أن ندركه ونتصوره، فإن ذلك ليس هو المهم.

وتلك الأسماء توفر لنا ذلك الشعور العميق المفعم بالمعاني الحية، والمثيرة لكوامن الإحساس به وبوجوده، وبالحاجة إليه، وبالضعف أمامه، وغير ذلك من معان توحي لنا بها تلك الأسماء، إنها تجعلنا نتفاعل معه، ونعيش في رحابه، وننطلق في آفاقه، وتترك

آثارها على كل وجداننا، وعلى حياتنا العملية، على حركتنا وموقفنا وسلوكنا مع الناس، ومع أنفسنا، إنها تحل مشاكلنا النفسية، والروحية، من حيث إنها توحي إلينا بالمعاني التي نشعر أننا بحاجة لأن نتلمسها ونعيشها، ونشعر أنها أدواتنا التي توصلنا إلى ما نطمح إليه، وتحقق لنا ما نريد من دون حاجة إلى دليل عقلي أو فلسفي، أو منطقي برهاني.

إن كل ذلك لا يمكن أن تحققه لنا قناعات فكرية، أو معادلات رياضية، أو براهين فلسفية، فهذه الأسماء إذن توصلنا في موضع الخوف، والرجاء، والضعف والحاجة إلى الله سبحانه، وتصلنا به من أقرب طريق، وأصفاه.

الله (جل جلاله):

أما بالنسبة للفظ الجلالة (الله)، فهو اسم عَلَم للذات الإلهية المقدسة، وقد أخطأ من قال: إنه اسم لشيء عام كلي هو (واجب الوجود بالذات)، أو اسم (للمعبود بالحق) أو ما إلى ذلك، إذ لو كان كذلك لكان المراد من كلمة (لا اله إلا الله): لا واجب الوجود، إلا واجب الوجود، أو لا معبود بالحق إلا المعبود بالحق.

ويدل على ذلك أيضاً ما أشار إليه السيد العلامة الطباطبائي رحمه الله تعالى، من أن لفظ الجلالة يوصف بجميع الأسماء الحسنى،

ولا يصح أن يقع هو وصفاً لأي واحدة منها.

الأصنام عند العرب:

وواضح: أن العرب كانوا يستعملون لفظ الجلالة في معناه، أما الأصنام فكانوا يعتقدون: أنها تقربهم إلى الله تعالى زلفى، وأن لها نوعاً من التأثير في حياتهم في: الشفاء، والرزق، وحل المشاكل، وما إلى ذلك، فيعطونها نوعاً من الشراكة مع الله سبحانه بهذا المعنى، وقد كانوا يعظمونها في الأساس لأنها تمثل بعض الصلحاء، أو غير ذلك، ثم تطور هذا التعظيم ليصبح تقديساً، ثم تطور ليصبح اعتقاداً ببعض التأثير، وتعاظم ونما حتى بلغ درجة الشرك الذي هو ظلم عظيم، فجاء الانحراف عن مقتضيات الفطرة تدريجياً، كما ترى.

﴿الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾:

إننا قبل أن نتكلم عن المقصود من هاتين الكلمتين، نشير إلى أمر هام يرتبط بمعناهما، بل هو يرتبط بسائر صفاته وأسمائه تعالى، وهو: أن الرحمة لدى بني الإنسان عبارة عن انفعال نفساني ذي طابع خاص، يحصل بسبب رؤية العجز أو الضعف أو النقص لدى إنسان أو أي مخلوق آخر ذي روح، فإذا رأينا طفلاً عمره شهر تحت أشعة الشمس، أو جريحاً، أو رجلاً تحت الأنقاض، يحصل في

داخلنا انفعال معيّن بطريقة عفوية وفطرية، يدفعنا إلى العمل ومد يد المساعدة لذلك العاجز والمنكوب.

لكن حينما نصف الذات الإلهية المقدّسة المنـزّهة بصفة الرحمانية والرحيمية، فإن نحو وكيفية تلبسها بصفة الرحمة، أو انتساب الرحمة إليها يختلف عن نحو وكيفية تلبسها بالإنسان وانتسابها إليه، ونحن نجهل تماماً حقيقة الرحمة التي ننسبها إليه تعالى، ولا نستطيع حتى أن نتصوّر حقيقتها، ونجهل أيضاً كيفيتها لديه تعالى، وقد ورد النهي عن المعصومين عليهم السلام عن التعمق في التفكير في حقيقة الذات الإلهية[1].

غاية الأمر أننا حينما نلاحظ كثرة صدور الرحمات، أو فقل: الأمور التي هي من لوازم الرحمة بزعمنا، أو بحسب تصورنا، منه تعالى؛ فإن ذلك يجعلنا ننسب إليه تعالى صفة: رحمن، أو رحيم.

تحديد معنى: (الرحمن)، (الرحيم):

وأما بالنسبة لمعنى هذين اللفظين، فإننا نقول:

قالوا: إن كلمة (الرحمن)، تفيد المبالغة، أي: الذي يفيض الرحمة وتصدر عنه كثيراً، ومن كل جهة، ومعنى ذلك: أنها وصف لا يختص بالمؤمن، بل يعم الكافر أيضاً، أنها - والحالة هذه - إنما

(١) راجع بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٣، ص ٢٥٩، فما بعدها.

تناسب الحياة الدنيا، إذ ليس للكافر منها في الآخرة من نصيب.

وقالوا: إن كلمة (الرحيم) صفة مشبهة، أي: أنها تدل على وجود الصفة في الموصوف بصورة ثابتة ودائمة، ومعنى ذلك: أن هذا إنما يناسب المؤمن دون الكافر، لأن المؤمن هو الذي يستحق الرحمة الدائمة، إن هذا الوصف يمتد إلى الآخرة أيضاً، ليكون المؤمن مرحوماً فيها، وليناسب ذلك معنى الثبات والدوام فيها.

ولأجل ما تقدم نجدهم يقولون: رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، ونحن بدورنا نقول:

إن ما ذكروه مشكوك فيه، بل الله سبحانه رحمن في الدنيا والآخرة، ورحيم فيهما معاً أيضاً، وقد ورد في الحديث الشريف: (رحمان الدنيا والآخرة ورحيمها)[1]، وقال تعالى: ﴿**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً**﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿**الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ**﴾[3]، واستعملت (الرحيم) للحديث عن رحمته تعالى في الدنيا، قال تعالى: ﴿**وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً**﴾[4].

(١) الأمالي، الشيخ الطوسي: ص٥٢٣ ط سنة ١٤٠١ هـ مؤسسة الوفاء- بيروت.

(٢) سورة مريم: آية٨٥.

(٣) سورة الفرقان: آية٢٦.

(٤) سورة النساء: آية٢٩.

وهذا هو السر في التركيز على هاتين الصفتين في أعظم آية في القرآن الكريم، وذلك لأن كلمة (رحمن) تساوي كلمة: غضبان أو شبعان أو نعسان أو يقظان، وهذه الصفات بهذه الصيغة ليست من صيغ المبالغة، وإنما هي تدل على وجود الصفة في موصوفها على نحو التمام والكمال، فكلمة: (غضبان) مثلاً، كما يقول أهل اللغة معناها الشخص الممتلئ غضباً[١]، أو (الذي يغضب سريعاً، وقيل: شديد الغضب)[٢].

فإذا كان المراد بالرحمن هو أنه عز وجل ممتلئ رحمة، فلازم ذلك أن تصدر عنه الرحمات بكثرة، فيرحم سبحانه المؤمن والكافر، والعالم والجاهل، والكبير والصغير، والغني والفقير، وما إلى ذلك، فما قاله الطبرسي وغيره: (الرحمان الرحيم: اسمان وضعا للمبالغة، واشتقا من الرحمة وهي النعمة، إلا أن (فَعلان) أشد مبالغة من (فَعِيل))[٣]، وقال ابن منظور عن كلمة (رحمن): (معناه الكثرة)، وقال: (فَعلان) من أبنية ما يبالغ في وصفه[٤]، هذا

(١) تفسير التبيان، الشيخ الطوسي: ج١، ص ٢٨ و٢٩ وتفسير الكشاف، محمد جواد مغنية: ج١، ص٤١.

(٢) لسان العرب، ابن منظور: ج١٠، ص٤٤٩.

(٣) مجمع البيان، الشيخ الطوسي: ج١، ص٢٠، ط دار إحياء التراث العربي، سنة ١٣٧٩هـ، ولسان العرب، ابن منظور: ج١٢، ص٢٣١.

(٤) لسان العرب، ابن منظور: ج١٢، ص٢١٣ و٢٣٠، وراجع كلمة: كريم في

القول فيه نوع من التوسع، فلعل الطبرسي وغيره من المفسرين وأهل اللغة، ذكروا لازم المعنى، فصوروه لنا على أنه هو المعنى نفسه، بنوع من التوسع أو التسامح.

أما بالنسبة لكلمة: (الرحيم) فيمكن أن تكون للمبالغة مثل: عليم، بمعنى: كثير العلم، وقد تكون صفة مشبهة لمجرد إفادة ثبوت الوصف من دون أي مبالغة أو تكثير، مثل: مريض، وقديم، وكبير، وصغير، ولكننا إذا رجعنا إلى الآيات القرآنية، فإننا نجد أنها في الأكثر قد وردت وإلى جانبها كلمات هي: غفور، تواب، رؤوف، ودود، بر، عزيز، وهذه الصيغ إما هي للمبالغة، كالأربعة الأول، وهي واقعة في عشرات الآيات، أو أنها صفة مشبهة كالكلمتين الأخيرتين، اللتين وردتا في موارد قليلة جداً، والصفة المشبهة تدل على نسبة الصفة للموصوف، وقيامها فيه فعلاً، من دون إشارة إلى معنى الحدوث، فاقتران كلمة الرحيم بصيغ المبالغة يشير إلى أنها صيغة مبالغة مثلها ككلمة: عليم، إذ المفروض وجود تجانس فيما بين الصفتين سوّغ للذوق أن يعقب إحداهما بالأخرى، إذ لو كانت إحداهما للمبالغة دون الأخرى، فإن مستوى الانسجام والتجانس سوف يضعف، وسيشعر القارئ بوجود نقلة غير طبيعية، بعيدة عن السهولة بصورة عامة.

ص٥١٠ و٥١١.

كما أنها حين جعلت إلى جانب الصفة المشبهة، مثل كلمة عزيز، فإنها قد استعملت صفة مشبهة يقصد بها تمامية الصفة في موصوفها على سبيل الثبات والدوام، من دون إلماح إلى معنى الحدوث، فهي إلى جانب الصفة المشبهة تكون صفة مشبهة مثل: كريم، وسقيم، وحكيم، وإلى جانب صيغة المبالغة تكون مثلها صيغة مبالغة تدل على الامتلاء بالرحمة، ويلزم من ذلك كثرة صدورها منه تعالى لمن يستحقها، أو لعلها هي بنفسها أيضاً من صيغ المبالغة أيضاً كما ذكره الطبرسي وغيره.

ولا نستبعد أنه تعالى قد جاء بكلمة (رحيم) التي هي صيغة مبالغة على شكل الصفة المشبهة ليفيد المعنيين معاً، أي: ليفيد المبالغة وتمامية الصفة في موصوفها، لأنها على شكل صيغ المبالغة، وليفيد الدوام والثبات لأنها على شكل الصفة المشبهة.

وقد اتضح مما تقدم: أن ما قالوه من أنه تعالى: رحمن في الدنيا رحيم في الآخرة، لأن الكافر لا يستحق ثبات ودوام الرحمة لتصل إلى الآخرة، فتكون كلمة: (رحيم) خاصة بالمؤمن، وكلمة (رحمن) تشمل المؤمن والكافر، هذا القول غير دقيق: بل هو استنبطوه من شؤون العقيدة، لا من الدلالات اللغوية لهاتين الكلمتين، فقيدوا المعنى اللغوي بالدليل العقائدي.

وإنما قلنا: إنه غير دقيق، لأن المعنى اللغوي على النحو الذي ذكرناه ليس ناظراً إلى تلبس الرحمة بهذا الشخص أو ذاك، بل هو ناظر إلى كيفية قيام الصفة بموصوفها، وأن كلمة الرحمن لا تدل على كثرة الرحمة دلالة مطابقية، بل المدلول المطابقي الأول لكلمة الرحمان هو الامتلاء بالرحمة. فيلزم من ذلك كثرة صدور الرحمة عنه للمستحق لها، فالفيض والصدور من لوازم المعنى، خارج عنه عارض له، وكلمة الرحيم، تدل على الثبات والدوام والرسوخ، فالرحمن ناظرة للكم، والرحيم ناظرة للكيف، بالإضافة إلى المبالغة في ذلك مثل كلمة: عليم.

سبب اختيار هاتين الصفتين:

وهنا سؤال يقول:

لماذا اختار الله سبحانه هذين الوصفين في هذه الآية الكريمة (البسملة) التي يفترض أن يرددها الإنسان في مختلف شؤونه وحالاته، وربما يرددها عشرات المرات في كل يوم، ثم اعتبرت هذه الآية أعظم آية في القرآن الكريم؟ ولمَ لم تذكر في البسملة صفات أخرى، مثل: التواب، الغفور، الشافي، الكريم، الخالق، الرازق، العليم، القوي، الرؤوف، الخ؟!.

والجواب -باختصار شديد-: إن المطلوب للإنسان في

سير حياته أن تشمله العناية الإلهية، فيستفيد من خالقيته تعالى خلقاً، ومن رازقيته رزقاً، ومن حكمته تدبيراً، ومن قوته وانتقامه وجبروته حماية ورعاية، ومن عزته عزاً، ومن كل صفاته الجمالية كمالاً وجمالاً، وقوة، وصحة، وشفاءً، وتوبة ومغفرة، إلخ،

كل هذه الأمور وسواها مآلها إلى صفة الرحمانية والرحيمية فيه تعالى، فمن خلال الرحمة يصدر ذلك كله عن الذات الإلهية، فيرزق تعالى ويشفي، ويدبر، ويقوي، ويتوب، ويغفر، الخ، لكونه رحيماً ورحماناً، ولا توجد أية صفة أخرى تستبطن هذه الصفات وسواها. فكلمة التواب، أو الغفور، أو الشافي، أو الرازق، إلخ. لا تقوم مقام رحمن ورحيم، أي: إن كلمة التواب مثلاً لا تقوم مقام الرازق أو الخالق، لأنها لا علاقة لها بالرزق، والشفاء، وكذلك كلمة الرزاق لا تقوم مقام غيرها من الصفات، وهكذا.

أما كلمة الرحمن الرحيم، فإنها تستدعي أن يشفيك الله لكونه إلهك الراحم، وأن يقويك لأنه أيضاً إلهك الراحم، وأن يتوب عليك ويرزقك لكونه كذلك إلهك الراحم، وهكذا، فإذا دخلت من باب الرحمة، فإنه يوصلك إلى مضمون سائر الصفات، ويمكنك منها جميعاً.

كما أنك -من جهة أخرى- لا تريد هذه الرحمة لمرة واحدة،

بل تريد دوامها، واستمرارها في الدنيا والآخرة، وفي كل حال ومجال.

وخلاصة الأمر: إننا ندخل من باب الرحمة إلى عالم الفيوضات الإلهية اللامحدود والذي لا ينضب، ونحصل على كل مقتضيات سائر صفات الذات الإلهية المقدسة وعلى كل شيء، ونحل بذلك كافة مشاكلنا، وفي كل حين فنحصل على الرزق، والشفاء، والغفران، والتوبة، الخ، ولا توجد أية صفة أخرى سوى الرحمانية والرحيمية قادرة على تلبية حاجات الإنسان، وتحقيق طموحاته، وتحصينه من اليأس، إلخ،

كلمة (الرحمن) عَلَم أم صفة؟

وآخر ما نلفت النظر إليه هنا هو: أنه تعالى، قد جعل كلمة الرحمان صفة للفظ الجلالة، مع أن البعض يدعي: أنها قد أصبحت علماً بالغلبة، فكيف يصح وصف العَلَم بالعَلَم؟ ونقول:

إن صيرورتها عَلَماً بالغلبة غير ظاهر، ووصف لفظ الجلالة بها دليل على أنها لا تزال صفة، وقوله تعالى: ﴿**قُلِ ادْعُواْ اللهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ**﴾[1]، لا يدل على عَلَميتها، لا مكان أن يدعو الإنسان الله وأن يدعو التواب، والكريم، والشافي، الخ، ولا تجعل

(١) سورة الإسراء: آية ١١٠.

الدعوة هذه الأمور عَلَماً.

ويمكن أن يقال: إنك إذا سميت رجلاً بكلمة (عادل) أو (كريم): فإن لاحظت العَلَمية فيها، فلا يصح الوصف بها، وإذا لاحظت الوصفية، وأنه يملك صفة العدل صح الوصف بها، والحال بالنسبة لكلمة الرحمن من هذا القبيل.

التدرج بكتابتها من النبي صلى الله عليه وآله:

- عن النبي صلى الله عليه وآله: أنه كان يأمر كاتبه أن يكتب: بسمك اللهم، فلما نزلت ﴿**بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا**﴾ أمر أن يكتب: (بسم الله)، فلما نزلت ﴿**قُلِ ادْعُواْ اللهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ**﴾، أمر أن يكتب: (بسم الله الرحمن)، فلما نزلت ﴿**إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ**﴾، أمر بكتابته تاماً[1].

أحكام كتابتها:

- عن سيف بن هارون مولى آل جعدة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (اكتب بسم الله الرحمن الرحيم من أجود كتابك ولا تمد الباء حتى ترفع السين)[2].

---

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ج٨، ص٤٣٣.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢، ص٦٧٢. وورد فيه بعد ذكر الحديث ما لفظه: (بيان: لا تمد الباء، يعني: إلى الميم، كما وقع التصريح به في حديث أمير المؤمنين عليه السلام،

- عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لبعض كُتَّابِه: (ألق الدواة، وحرِّف القلم، وانصب الباء، وفرِّق السين، ولا تعور الميم، وحسِّن الله، ومد الرحمن، وجوِّد الرحيم، وضع قلمك على أذنك اليسرى، فإنه أذكر لك)[1].

ورفع السين: تضريسه).

(١) منية المريد في آداب المفيد والمستفيد، الشهيد الثاني: ص٣٥٠، وعنه في مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ج٨، ص٤٣٣. وأما المراد من ألفاظ الحديث، فهو: (ألق الدواة)، أي: اجعل نحو حرير أو صوف في المداد، لأن ذلك أولاً: يمنع من اصطدام رأس القلم بقعر الدواة، فيحفظ من الكسر والتحريف، وثانياً: أن القلم لا يرفع بسبب وجود الليقة (كذا) حبراً كثيراً، وفي هذا من سهولة الكتابة وتحسينها ونظافتها ما لا يخفى، وقوله (وحرف القلم)، أي: اجعل مقدمة سنه منحرفة سواء كان كثيراً أو قليلاً، بحسب قاعدة كل خط، لأن ذلك يساعد في تحسين الخط، ولذا قيل: إن أتقنت قلمك أتقنت خطك، وإن أهملت قلمك أهملت خطك، وقوله: (وانصب الباء)، أي: اجعل الباء منصوبة، مرفوعة عن أسنان السين، لئلا تلتبس بها، فلو كانت مائلة إلى اليسار لأشبهت رأس الحاء في الخط الكوفي، إذ قاعدتها أن تكتب كشرطة مائلة إلى اليسار كما هو معلوم عند الخطاطين، وقوله: (وفرق السين) فالمراد إظهار أسنان السين الثلاثة، ووضوحها وضوحاً تاماً، وانفصالها عن سنة الباء، حتى لا يحصل هناك لبس، فلو نقصت من الكلمة سنة واحدة أو لم تظهر أسنان السين الثلاثة لتغير لفظ الكلمة ومعناها، وقوله: (ولا تعور الميم) فالمراد عدم طمسها ففي طمسها تشويه لنفس الحروف كما هو ظاهر، وقوله: (وحسن الله، ومد الرحمن، وجود الرحيم) فالمراد إجادة كتابة القرآن الكريم، وتحسين الخط، والاعتناء بذلك تعظيماً لله). بعض شروح الشفاء، ونقله عنها

- وعن زيد بن ثابت، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إذا كتبت: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ﴾، فبين السين فيه)[١].

- عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (لا تمد الباء إلى الميم حتى ترفع السين)[٢].

- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إذا كتب أحدكم ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ﴾ فليمد الرحمن)[٣].

- أحمد بن محمد السياري في كتاب التنزيل والتحريف: حدثني بعض الرواة من أصحابنا، قال: من حق القلم على من أخذه، إذا كتب أن يبدأ بـ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ﴾)[٤].

- وعن علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه قال: (تنوَّق رجل في ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ﴾ فغفر له)[٥].

- عن الحسن بن السري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: لا

عبد الحي الفرماوي في كتابه رسم المصحف ونقطه: ص٦٦.

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ج٨، ص٤٣٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق: ج٨، ص٤٣٤.

(٥) المصدر السابق.

تكتب ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ﴾ لفلان، ولا بأس أن تكتب على ظهر الكتاب لفلان[١].

ثواب تعليم البسملة:

- عن النبي صلى الله عليه وآله: (أنه إذا قال المعلم للصبي: قل: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ﴾، فقال الصبي: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ﴾، كتب الله براءة للصبي، وبراءة لأبويه، وبراءة للمعلم)[٢].

كفاية من البلاء:

- عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (من قال: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ﴾، (**لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**)، ثلاث مرات، كفاه الله تعالى تسعة وتسعين نوعاً من أنواع البلاء أيسرها الخنق [الجنون][٣])[٤].

- عن الحسن بن الجهم، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: من قال: (﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ﴾، (**لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**)، ثلاث مرات حين يصبح، وثلاث مرات حين يمسي، لم

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢، ص٦٧٢.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٨٩، ص٢٥٧.

(٣) الوافي، الفيض الكاشاني: ج٩، ص١٦٥٣.

(٤) المحاسن، الشيخ البرقي: ج١، ص٤١.

يخف شيطاناً ولا سلطاناً، ولا جذاماً ولا برصاً)، قال أبو الحسن عليه السلام: (وأنا أقولها مائة مرة)[١].

- عن النبي صلى الله عليه وآله: (من بسمل وحولق كل يوم عشراً، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، ودفع الله عنه سبعين باباً من البلاء، منها الجنون والجذام والبرص والفالج، وكان أعظم عند الله تعالى من سبعين حجة وعمرة متقبلات، بعد حجة الإسلام، ووكل الله تعالى به سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى الليل)[٢].

- عن الصادق عليه السلام قال: (من بسمل وحولق في دبر كل صلاة من الفجر والمغرب سبعاً، دفع الله تعالى عنه سبعين نوعاً من أنواع البلاء أهونها الريح والبرص والجنون، ويكتب في ديوان السعداء وإن كان شقياً)[٣].

- عن عيسى بن عبد الله، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام، قال: بلغه أن أناساً ينزعون ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾، فقال: (هي آية من كتاب الله، أنساهم إياها الشيطان)[٤].

---

(١) المحاسن، الشيخ البرقي: ج١، ص٤١.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٨٤، ص٥.

(٣) المصدر السابق: ج٨٣، ص١١٢.

(٤) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ج٤، ص١٦٦.

عند الدعاء:

- قال الرسول الأكرمﷺ: (لا يُردُ دعاء أوله ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ﴾)[١].

ثواب قراءتها:

- عن ابن مسعود، عن النبيﷺ: (إن من قرأ بسم الله كتب الله له بكل حرف أربعة آلاف حسنة، ومحا عنه أربعة آلاف سيئة، ورفع له أربعة آلاف درجة)[٢].

- قالﷺ: (لو قرأت بسم الله، تحفظك الملائكة إلى الجنة، وهو شفاء من كل داء)[٣].

الإكثار من قراءتها:

- أوحى الله إلى عيسىعليه السلام: (أَنْ أَكثِر من قول بسم الله، وافتح أمورك به، ومن وافاني وفي صحيفته قبضة بسم الله، أعتقه من النار)، قال وما قبضة بسم الله؟ قال: (مائة مرة، وإن لقمان رأى رقعة فيها بسم الله، فرفعها وأكلها، فأكرمه بالحكمة)[٤].

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٩٠، ص٣١٣.

(٢) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ج٤، ص٣٨٩.

(٣) المصدر السابق: ج٤، ص٣٨٨.

(٤) المصدر السابق.

تفتح أبواب الطاعة:

- عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: (اغلقوا أبواب المعصية بالاستعاذة، وافتحوا أبواب الطاعة بالتسمية)[١].

عند الوضوء:

- جعفر بن محمد بن شريح في كتابه: عن حميد بن شعيب، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام: قال: (إذا توضأ أحدكم، أو اكل، أو شرب، أو لبس ثوباً، وكل شيء يصنع ينبغي أن يسمي عليه، فإن هو لم يفعل، كان الشيطان فيه شريكاً)[٢].

- عن الفضيل، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله، وزاد فيه، فقال: (إذا توضأ أحدكم ولم يسمِّ كان للشيطان في وضوءه شرك، وإن أكل أو شرب أو لبس وكل شيء صنعه ينبغي أن يسمي عليه، فإن لم يفعل كان للشيطان فيه شرك)[٣].

- عن محمد بن حسان السلمي، عن محمد بن جعفر، عن أبيه عليه السلام، قال: (من ذكر اسم الله على وضوئه طهر جسده كله، ومن لم يذكر اسم الله على وضوءه طهر من جسده ما أصاب به الماء)، وفي

---

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ج٥، ص٣٠٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المحاسن، الشيخ البرقي: ج٢، ص٤٣٣.

رواية ابن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: (لا يتوضأ الرجل حتى يسمي ويقول قبل أن يمس الماء: (**اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين**)، فإذا فرغ من طهوره قال: (**أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله عبده ورسوله** صلى الله عليه وآله)، فعندها يستحق المغفرة)[١].

- قال الإمام الصادق عليه السلام: (من ذكر اسم الله على وضوئه فكأنما اغتسل)[٢].

- وروي: (أن من توضأ فذكر اسم الله طهر جميع جسده، وكان الوضوء إلى الوضوء كفارة لما بينهما من الذنوب، ومن لم يسم لم يطهر من جسده إلا ما أصابه الماء)[٣].

- عن الحسين بن سعيد عن ابن أبي عمير عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إذا سميت في الوضوء طهر جسدك كله وإذا لم تسم لم يطهر من جسدك إلا ما مرَّ عليه الماء)[٤].

---

(١) المحاسن، الشيخ البرقي: ج١، ص٤٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ج١، ص٤٩، الاستبصار، الشيخ الطوسي: ج١، ص٦٧، تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: ج١، ص٣٥٨، وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج١، ص٤٢٣.

(٣) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ج١، ص٤٩.

(٤) الاستبصار، الشيخ الطوسي: ج١، ص٦٧.

- عن أبي بصير قال: قال: أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا محمد من توضأ فذكر اسم الله طهر جميع جسده ومن لم يسم لم يطهر من جسده إلا ما أصابه الماء)[١].

- عن ابن أبي عمير عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن رجلاً توضأ وصلى، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أعد صلاتك ووضوئك، ففعل وتوضأ وصلى، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: أعد وضوئك وصلاتك، ففعل وتوضأ وصلى فقال له النبي صلى الله عليه وآله: أعد وضوئك وصلاتك، فأتى أمير المؤمنين عليه السلام، فشكى ذلك إليه، فقال: هل سميت حين توضأت؟ قال: لا، قال: سَمِّ على وضوئك، فسمى وصلى، فأتى النبي صلى الله عليه وآله، فلم يأمره أن يعيد)[٢].

- عن النبي صلى الله عليه وآله قال: (التسمية مفتاح الوضوء، ومفتاح كل شيء)[٣].

- عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (إن للوضوء شيطاناً يقال له (ولهان) يوسوس العبيد إذا لم يسم الله في وضوئه)[٤].

---

(١) الاستبصار، الشيخ الطوسي: ج١، ص٦٧، وتهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: ج١، ص٣٥٨.

(٢) المصدران السابقان.

(٣) جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجوردي: ج٢، ص٢٦٢.

(٤) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ج١، ص٣٢٣، جامع أحاديث الشيعة،

- قال النبي صلى الله عليه وآله: (يا علي إذا توضأت فقل: **(بسم الله اللهم إني أسئلك تمام الوضوء وتمام الصلاة وتمام رضوانك وتمام مغفرتك)**، فهذا زكاة الوضوء)[1].

- عن محمد بن قيس قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يحدث الناس بمكة في حديث: (أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال للثقفي قبل أن يسأله: أما أنك جئت أن تسألني عن وضوئك وصلاتك ومالك فيهما، فاعلم أنك إذا ضربت يدك في الماء وقلت: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ**﴾ تناثرت الذنوب التي اكتسبتها يداك، فإذا غسلت وجهك تناثرت الذنوب التي اكتسبتها عيناك بنظرهما، وفوك بلفظه، فإذا غسلت ذراعيك تناثرت الذنوب عن يمينك وشمالك، فإذا مسحت رأسك وقدميك تناثرت الذنوب التي مشيت إليها على قدميك، فهذا لك في وضوئك.

فإذا قمت إلى الصلاة وتوجهت وقرأت أم الكتاب وما تيسر لك من السور ثم ركعت فأتممت ركوعها وسجودها وتشهدت وسلمت غفر لك كل ذنب فيما بينك وبين الصلاة التي قدمتها إلى الصلاة المؤخرة فهذا لك في صلاتك)[2].

السيد البروجوردي: ج٢، ص٢٦٢، وفيه: (يونس)، والظاهر أنه تصحيف.

(١) جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجوردي: ج٢، ص٢٦٣.

(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج١، ص٢٧٦.

نجاة من الزبانية:

– عن ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله: (من أراد أن ينجيه الله من الزبانية، فليقرء ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾، تسعة عشر حرفاً، ليجعل الله كل حرف منها جُنة من واحد منهم)[١].

– روى عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله قال: (من قرأ: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾، كتب الله له بكل حرف أربعة آلاف حسنة، ومحى عنه أربعة آلاف سيئة، ورفع له أربعة آلاف درجة)[٢].

– وروي عن النبي صلى الله عليه وآله من قال: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾ بنى الله له في الجنة سبعين ألف قصر من ياقوتة حمراء، في كل قصر سبعون ألف بيت من لؤلؤة بيضاء، في كل بيت سبعون ألف سرير من زبرجدة خضراء، فوق كل سرير سبعون ألف فراش من سندس وإستبرق، وعليه زوجة من الحور العين، ولها سبعون ألف ذؤابة مكللة بالدر واليواقيت، مكتوب على خدها الأيمن: محمد رسول الله، وعلى خدها الأيسر: علي ولي الله، وعلى جبينها: الحسن، وعلى ذقنها: الحسين، وعلى شفتيها: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾.

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٨٩، ص٢٥٨.

(٢) المصدر السابق.

قلت: يا رسول الله لمن هذه الكرامة؟ قال: لمن يقول بالحرمة والتعظيم: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾)[١].

عند النوم:

- قال النبي صلى الله عليه وآله: (إذا قال العبد عند منامه: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾ يقول الله: ملائكتي اكتبوا نفَسَه إلى الصباح)[٢].

- ورد في تفسير الإمام العسكري عليه السلام: قال الصادق عليه السلام: ولربما ترك في افتتاح أمر بعض شيعتنا ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾ فيمتحنه الله بمكروه، وينبهه على شكر الله تعالى والثناء عليه، ويمحو فيه عنه وصمة تقصيره عند تركه قول: ﴿بِسْمِ اللهِ﴾، لقد دخل عبد الله بن يحيى على أمير المؤمنين عليه السلام وبين يديه كرسي، فأمره بالجلوس عليه، فجلس عليه فمال به حتى سقط على رأسه فأوضح عن عظم رأسه وسال الدم فأمر أمير المؤمنين بماء فغسل عنه ذلك الدم ثم قال: ادن مني، فوضع يده على موضحته - وقد كان يجد من ألمها ما لا صبر له معه - ومسح يده عليها وتفل فيها، فما هو أن فعل ذلك حتى اندمل، فصار كأنه لم يصبه شيء قط، ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: يا عبد الله الحمد لله الذي جعل تمحيص

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٨٩، ص٢٥٨.

(٢) المصدر السابق.

ذنوب شيعتنا في الدنيا بمحنهم لتسلم لهم طاعاتهم، ويستحقوا عليها ثوابها...

فقال عبد الله: يا أمير المؤمنين قد أفدتني وعلمتني فإن أردت أن تعرفني ذنبي الذي امتحنت به في هذا المجلس حتى لا أعود إلى مثله، قال: تركك حين جلست أن تقول: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ**﴾، فجعل الله ذلك لسهوك عما ندبت إليه، تمحيصاً بما أصابك، أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله حدثني عن الله جل وعز أنه قال: كل أمر ذي بال لم يذكر فيه (بسم الله) فهو أبتر، فقلت: بلى بأبي أنت وأمي لا أتركها بعدها، قال: إذا تحظى بذلك وتسعد)[1].

عند الأكل:

تعددت الروايات التي تتحدث عن أهمية البسملة عند الأكل فشملت جميع النواحي التي نتصورها أو يقع في ذهننا تساؤل تجاهها، وهي بذلك من أهم التراث الروائي الذي وصل إلينا عن أهل البيت عليهم السلام، ومن المهم الاطلاع عليها من قبل المؤمنين (أعزهم الله) والاطلاع على آثارها، فالكثير منا يعلم عن البسملة أنها من آداب الطعام بأن يُبتدأ بها عند الأكل، ولكن أكثرنا لا يعلم – بعد ذلك – أكثر الخصوصيات التي تضمنتها الروايات،

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٧٣، ص٣٠٥.

فقد تضمنت الكثير من التفصيلات التي نستعرضها فيما يأتي:

- عن إسماعيل بن مسلم السكوني عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه، عن علي عليهم السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا جمع للطعام أربع خصال فقد تم: إذا كان من حلال، وكثرت الأيدي عليه، وسُمِّي الله تبارك وتعالى في أوله، وحُمِدَ في آخره)[١].

- عن ابن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (قال أمير المؤمنين عليه السلام: أكثروا ذكر الله على الطعام ولا تلغطوا[٢] فيه، فإنه نعمة من الله ورزق من رزقه يجب عليكم شكره وحمده)[٣].

- سُئل النبي صلى الله عليه وآله: هل يأكل الشيطان مع الإنسان؟ فقال صلى الله عليه وآله: (نعم، كل مائدة لم يذكر بسم الله عليها يأكل الشيطان معهم، ويرفع الله البركة عنها)، ونهى عن أكل ما لم يذكر عليه بسم الله، كما قال الله تعالى في سورة الأنعام: ﴿**وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ**﴾)[٤].

---

(١) الخصال، الشيخ الصدوق: ٢١٦، بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٦٣، ص٣١٤.

(٢) اللغط كثرة الكلام بما لا طائل منه، والمراد هنا بحسب قرينة المقام: بغير ذكر الله.

(٣) المحاسن، الشيخ البرقي: ج٢، ص٤٣٤.

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٨٩، ص٢٥٨.

- عن غياث بن إبراهيم الدارسي عن جعفر عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام، قال: (من ذكر اسم الله على طعامه، لم يُسأل عن ذلك الطعام أبداً)[١].

- عن غياث بن إبراهيم، عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن علي عليه السلام قال: (من ذكر اسم الله على الطعام لم يسأل عن نعيم ذلك الطعام أبداً)[٢].

- عن عبد الله العزرمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: (من ذكر اسم الله على طعام أو شراب في أوله وحمد الله في آخره لم يُسأل عن نعيم ذلك الطعام أبداً)[٣].

- عن أبي عبد الله البرقي، عن فضالة بن أيوب، عن داود بن فرقد، رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (ضمنت لمن سمَّى الله تعالى على طعام أن لا يشتكي منه)، فقال ابن الكوا: يا أمير المؤمنين عليه السلام، لقد أكلت البارحة طعاماً فسميت عليه فآذاني، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: (أكلت ألواناً فسميت على بعضها ولم تُسَمِّ على كل لون يا لكع)[٤].

---

(١) ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق: ص ١٨٤.

(٢) المحاسن، الشيخ البرقي: ج٢، ص٤٣٤.

(٣) المصدر السابق، والكافي، الشيخ الكليني: ج٦، ص٢٩٤.

(٤) المصدر السابق: ج٢، ص٤٣٠.

– عن حماد بن عيسى، عن مسمع أبي سيار، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني أتخم، قال: (سَمِّ)، قلت: قد سَمَّيتُ، قال: (فلعلك تأكل ألوان الطعام؟)، قلت: نعم، قال: (فتُسمِّي على كل لون؟)، قلت: لا، فقال: (من ههنا تُتخم)[1].

– عن أبي طالب البصري، عن مِسمَع، قال: شكوت إلى أبي عبد الله عليه السلام ما ألقى من أذى الطعام إذا أكلت، فقال: (لِمَ لَمْ تُسَمِّ)؟ قلت: إني لَأُسَمِّي وإنه ليضرني، فقال: (إذا قطعت التسمية بالكلام ثم عدت إلى الطعام تُسمِّي؟)، قلت: لا، قال: (فمن ههنا يضرك، أما لو كنت إذا عُدتَ إلى الطعام سَمَّيتَ ما ضرك)[2].

– عن عبد الله الأرجاني، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام، قال: (قال أمير المؤمنين عليه السلام: ما أُتخمتُ قط، قيل: وكيف لم تُتخم؟ قال: ما رفعت لقمة إلى فمي إلا ذكرت اسم الله عليها)[3].

– عن صفوان بن يحيى، عن داود بن فرقد، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف أسمِّي على الطعام؟ فقال: (إذا اختلفت الآنية فسَمِّ على كل إناء)، قلتُ: فإن نسيت أن أُسمِّي؟ فقال: (تقول:

---

(١) المحاسن، الشيخ البرقي: ج٢، ص٤٣٠.

(٢) المصدر السابق: ج٢، ص٤٣٨.

(٣) المصدر السابق.

(بسم الله في أوله وآخره))[١].

- عن أبي أسامة، عن أبي خديجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن أبي أتاه أخوه عبد الله بن علي يستأذن لعمر وبن عبيد وواصل وبشير الرحال، فأذن لهم، فلما جلسوا قال: (ما من شيء إلا وله حَدٌّ ينتهي إليه)، فجيء بالخوان فوضع، فقالوا فيما بينهم: قد والله استمكنا منه، فقالوا له: يا أبا جعفر هذا الخوان من الشيء هو؟ قال: (نعم)، قالوا: فما حَدُّه؟ قال: (حَدُّه إذا وضع قيل: بسم الله، وإذا رفع قيل: الحمد لله، ويأكل كل إنسان مما بين يديه، ولا يتناول مِن قُدَّام الآخر شيئاً)[٢].

- عن عبد الله بن الفضل النوفلي، عن الفضل بن يونس قال قلت لأبي الحسن عليه السلام وسمعته يقول وقد أتينا بالطعام: (الحمد لله الذي جعل لكل شيء حدَّاً)، قلنا: ما حَدُّ هذا الطعام إذا وضع؟ وما حَدُّه إذا رُفِع؟ فقال: (حَدُّه إذا وضع أن يُسمِّي عليه، وإذا رُفِع يَحمد الله عليه)[٣].

- عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: في وصية رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: (يا علي إذا أكلت فقل: (بسم الله)، وإذا فرغت فقل:

(١) المحاسن، الشيخ البرقي: ج٢، ص٤٣٩.

(٢) المصدر السابق: ج٢، ص٤٣١، الكافي، الشيخ الكليني: ج٦، ص٢٩٢.

(٣) المصدران السابقان.

(الحمد لله)، فإن حافظيك لا يبرحان يكتبان لك الحسنات حتى تبعده عنك)[١].

- عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله إذا وضعت المائدة حفَّها أربعةُ أملاك، فإذا قال العبد: (بسم الله)، قالت الملائكة: بارك الله لكم في طعامكم، ثم يقولون للشيطان: اخرج يا فاسق، لا سلطان لك عليهم، فإذا فرغوا قالوا: (الحمد لله رب العالمين)، قالت الملائكة: قوم قد أنعم الله عليهم فأدوا شكر ربهم، فإذا لم يُسمِّ قالت الملائكة للشيطان: ادنُ يا فاسق، فُكُل معهم، وإذا رُفعتْ المائدة ولم يُذكَر الله، قالت الملائكة: قوم أنعم الله عليهم فَنَسَوا ربهم)[٢].

- عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (إذا وضع الخِوان فقل: **(بسم الله)**، وإذا أكلت فقل: **(بسم الله في أوله وآخره)**، وإذا رُفع الخوان فقل: **(الحمد لله)**)[٣].

- عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (... إذا نسي أحدكم اسم الله على طعامه فليقل إذا تذكر: (بسم الله أوله وآخره))[٤].

(١) المحاسن، الشيخ البرقي: ج٢، ص٤٣١.

(٢) المصدر السابق، والكافي، الشيخ الكليني: ج٦، ص٢٩٢.

(٣) المصدران السابقان: ج٢، ص٤٣٣، نفسه.

(٤) كنز العمال، المتقي الهندي، ج١٥، ص٢٤٤، كذا في المصدر وغيره، والظاهر

– عن حسين بن مختار، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إذا أكلتَ الطعام فقل: **(بسم الله في أوله وآخره)**، فإن العبد إذا سَمَّى في طعامه قبل أن يأكل، لم يأكل معه الشيطان، وإذا لم يُسَمِّ أكل معه الشيطان، وإذا سَمَّى بعدما يأكل وأكل الشيطان معه تقيأ ما كان أكل)[١].

– عن ابن فضال، عن أبي جميلة، عن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إذا وضع الغداء والعشاء فقل: **(بسم الله)**، فإن الشيطان يقول لأصحابه: أخرجوا فليس ههنا عشاء ولا مبيت، وإن هو نسي أن يُسمِّي قال لأصحابه: تعالوا فإن لكم هناك عشاء ومبيتاً)[٢].

– عن غياث بن إبراهيم، عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: (من أكل طعاماً فليذكر اسم الله عليه، فإن نسي ثم ذكر الله بعده تقيأ الشيطان ما أكل، واستقبل الرجل طعامه)[٣].

وقوع السقط وأصله: (بسم الله على أوله وآخره)، أو ما يقرب منه، كما سيأتي في غيره من الروايات.

(١) المحاسن، الشيخ البرقي: ج٢، ص٤٣٢.

(٢) المصدر السابق: ج٢، ص٤٣١، والكافي، الشيخ الكليني: ج٦، ص٢٩٣.

(٣) المصدران السابقان.

– عن صفوان بن يحيى، عن كليب الصيداوي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن الرجل المسلم إذا أراد أن يُطعِم طعاماً فأهوى بيده وقال: **(بسم الله، والحمد لله رب العالمين)**، غفر الله له قبل أن يُصيِّرَ اللقمة إلى فيه)[١].

– عن أبي بصير، قال: تغديت مع أبي جعفر عليه السلام فلما وُضِعَتْ المائدةُ قال: **(بسم الله)**، فلما فرغ قال: **(الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، ورزقنا وعافانا، ومَنَّ علينا بِمُحمد صلى الله عليه وآله وجعلنا مسلمين)**[٢].

– عن القاسم بن سليمان، عن جراح المدائني قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (أُذكر اسم الله عز وجل على الطعام، فإذا فرغت فقل: الحمد لله الذي يُطعِم ولا يُطعَم)[٣].

– عن عبد الرحمن بن الحجاج، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (إذا حضرت المائدة وسَمَّى رجلٌ منهم، أجزأ عنهم أجمعين)[٤].

---

(١) المحاسن، الشيخ البرقي: ج٢، ص٤٣٥.

(٢) المصدر السابق: ج٢، ص٤٣٦.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني: ج٦، ص٢٩٤.

(٤) المصدر السابق.

عند خلع الثياب:

- عن ابن أسباط، عن عمِّه رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث:... وإذا خلع أحدكم ثيابه فليُسمِّ لِئَلا تلبسها الجن، فإنه إن لم يُسَمِّ عليها لبِسَتها الجِنُّ حتى يصبح،...، وإذا بلغ أحدكم باب حجرته، فَلْيُسمِّ فإنه يُنفِّر الشيطان، وإذا دخل أحدكم بيته فليُسلِّم، فإنه ينزله البركة، وتؤنسه الملائكة)، الحديث[١].

إنها حجاب من الناس:

- عن محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (احتجبوا[٢] من الناس كلهم، بـ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ**﴾، وبـ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾، اقرأها عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك ومن فوقك ومن تحتك، وإذا دخلت على سلطان جائر، فاقرأها حين تنظر إليه، ثلاث مرات، واعقد بيدك اليسرى، ثم لا تفارقها حتى تخرج من عنده)[٣].

(١) علل الشرائع، الشيخ الصدوق: ج٢، ص ٢٧٠، وعنه في بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٧٣، ص١٧٤.

(٢) كذا في النسخ، لكن الصحيح كما في المصدر: (احتجز)، وهو أمر من الاحتجاز، بمعنى: الامتناع.

(٣) تفسير نور الثقلين، الحويزي: ج١، ٧، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب،

- عن علي عليه السلام، أنه قال: (أن (اسم الله) فاتق للرتوق، وخائط للخروق، ومسهل للوعور، وجنة عن الشرور، وحصن من محن الدهور، وشفاء لما في الصدور، وأمان يوم النشور)[١].

للحزن:

- عن يوسف بن محمد بن زياد وعلي بن محمد بن سيار، وكان من الشيعة الإمامية، عن أبويهما عن الحسن بن علي العسكري عن آبائه عن علي عليه السلام - في حديث -، قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله من حَزِنه أمر يتعاطاه فقال: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾، وهو مخلص لله ويقبل بقلبه إليه، لم ينفك من إحدى اثنتين: إما بلوغ حاجته في الدنيا، وإما يُعدُّ له عند ربه ويُدَّخَر له لديه، وما عند الله خير وأبقى للمؤمنين)[٢].

الجهر بالبسملة:

- روى حنان بن سدير، قال: صليت خلف أبي عبد الله عليه السلام، فتعوذ بإجهار، ثم جهر بـ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ﴾[٣].

الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي: ج١، ص١٦.

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ج٥، ص٣٠٤.

(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج٤، ص١١٩٣.

(٣) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: ج٢، ص٢٨٩.

- عن صفوان، قال: (صليت خلف أبي عبد الله عليه السلام أياماً، فكان إذا كانت صلاة لا يجهر[١] فيها بالقراءة، جهر بـ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ**﴾، وأخفى ما سوى ذلك)[٢]، وزاد الكليني في روايته: (وكان يجهر في السورتين جميعا)[٣].

إذا أتى أحدكم أهله:

- عن سليمان الجعفري قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: (إذا أتى أحدكم أهله، فليكن قبل ذلك ملاطفة، فإنه أبرُّ لقلبها وأَسلُّ لسخيمتها، فإذا أفضى إلى حاجته قال: (**بسم الله**) ثلاثاً، فإن قدر أن يقرأ أيّ آية حضرته من القرآن فَعَل، وإلا قد كفته التسمية)، فقال له رجل في المجلس: فإن قرأ ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ**﴾ أُوْجِرَ به؟ فقال: (وأيُّ آية أعظم في كتاب الله)؟ فقال: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ**﴾)[٤].

---

(١) صفة لصلاة، أي: صلاة إخفاتية لا يجهر فيها.

(٢) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: ج٢، ص٦٨، الاستبصار، الشيخ الطوسي: ج١، ص٣١٠.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني: ج٣، ص٣١٥.

(٤) تفسير العياشي: ج١، ص٢١، بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٨٩، ص٢٣٨.

إذا وقعت في ورطة:

- قال الصادقعليه السلام: (ألا أعلمك كلمات؟ إذا وقعت في ورطة فقل: (﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ**﴾، **لا حول ولا قوة إلا بالله**)، فإن الله يصرف بها عنك ما يشاء من أنواع البلاء)[١].

للشفاء من العلل:

- عن الصادقعليه السلام: (إنه من كان به علة، فليقل عقيب الصبح، أربعين مرة: (﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ**﴾، **الحمد لله رب العالمين، حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم**)، ثم يمسح يده على العلة، يبرأ إن شاء الله تعالى)[٢].

للحفظ وعدم النسيان:

- عن داوود الصرمي، عن أبي الحسن الثالثعليه السلام قال: أمرنيعليه السلام بحوائج كثيرة، فقال لي: قل، كيف تقول؟ فلم أحفظ مثل ما قال لي، فمَدَّ الدواةَ وكتَبَ: (﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ**﴾ أَذكُر إن شاء الله، والأمر بيد الله)، فتبسمتُ، فقالَ: (ما لَكَ)؟ قلتُ: خيرٌ، فقال: (أخبرني)، قلتُ: جُعِلتُ فداك ذكرتُ حديثاً حدثني به رجل من أصحابنا عن جدك الرضا إذا أمر بحاجة كتب:

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٩٢، ص٢٠٩.

(٢) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ج٥، ص٩٢.

(﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ**﴾ أذكر إن شاء الله)، فتبسمت، فقال لي: (يا داود لو قلتُ: إن تارك التسمية كتارك الصلاة، لكنت صادقاً)[(١)].

لقضاء الحوائج:

- روي عن جعفر بن محمد الصادقعليه السلام أنه قال لمولاه نافد: (إذا كتبت رقعة أو كتاباً في حاجة فأردت أن تنجح حاجتك التي تريد، فاكتب رأس الرقعة بقلم غير مديد: (﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ**﴾، إن الله وعد الصابرين المخرج مما يكرهون، والرزق من حيث لا يحتسبون، جعلنا الله وإياكم من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)، قال نافد: فكنت أفعل ذلك فتنجح حوائجي)[(٢)].

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٧٣، ص٥٠، عن تحف العقول، ابن شعبة الحراني: ص٤٨٣ ط، ص٥١١ ط.

(٢) المصدر السابق.

القسم الثاني
ما يشمل كامل سورة الفاتحة

* منزلة الفاتحة.

* آثارها في الدنيا والآخرة.

* تفسيرها.

منزلة الفاتحة:

يكفي في فضل سورة الفاتحة وتميُّزها أن الصلاة - التي هي عمود الدين والتي هي أول ما ينظر فيه من عمل ابن آدم فإن صحت نظر في عمله، وإن لم تصح لم ينظر في بقية عمله[1]، وكل شيء من عملك تبع لصلاتك، كما في الحديث الشريف[2]- وَرَدَ في حَقِّها: (لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب)[3]، وهو يعني أن فاتحة الكتاب من قوام الصلاة، وفيما هو سوى ذلك وردت عدة روايات تبين فضلها، منها:

- حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثني يوسف بن محمد بن زياد وعلي بن محمد بن سيار، عن أبويهما، عن الحسن بن علي، عن أبيه علي بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه الرضا علي بن

---

(١) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: ج٢، ص٢٣٧.

(٢) نهج البلاغة، تحقيق صالح: كتاب٢٧.

(٣) عوالئ اللئالئ ابن أبي جمهور الإحسائي: ج١، ص١٩٦، جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي: ج٥، ص١٠٧.

موسى، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أخيه الحسن بن علي عليهم السلام، قال: (قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ**﴾، آية من فاتحة الكتاب، وهي سبع آيات تمامها ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ**﴾، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن الله عز وجل قال لي: يا محمد ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾، فأفرد الامتنان عليَّ بفاتحة الكتاب، وجعلها بإزاء القرآن العظيم، وإن فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش، وإن الله عز وجل خص محمداً وشرَّفه بها، ولم يشرك معه فيها أحداً من أنبيائه، ما خلا سليمان عليه السلام، فإنه أعطاه منها ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ**﴾، ألا تراه يحكي عن بلقيس حين قالت: ﴿**إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ* إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ**﴾؟ ألا فمن قرأها معتقداً لموالاة محمد وآله الطيبين، منقاداً لأمرهما، مؤمناً بظاهرهما وباطنهما، أعطاه الله عز وجل بكل حرف منها حسنة، كل واحدة منها أفضل له من الدنيا بما فيها من أصناف أموالها وخيراتها، ومن استمع إلى قارئ يقرؤها كان له قدر ثلث ما للقارئ، فليستكثر أحدكم من هذا الخير المعرض لكم، فإنه غنيمة، لا يذهبن أوانه، فتبقى في قلوبكم الحسرة)[1].

---

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق: ص٢٤٠ - ٢٤١، بحار الأنوار، العلامة المجلسي:

– عن معاوية بن عمار، عن الحسين بن عبد الله، عن أبيه، عن جده الحسن بن علي قال: جاء نفر من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وآله فكان فيما سألوه: أخبرنا عن سبع خصال أعطاك الله من بين النبيين، وأعطى أمتك من بين الأمم، فقال النبي صلى الله عليه وآله: (أعطاني الله عز وجل فاتحة الكتاب، والأذان، والجماعة في المسجد، ويوم الجمعة، والإجهار في ثلاث صلوات، والرخص لامتي عند الأمراض، والسفر والصلاة على الجنائز، والشفاعة لأصحاب الكبائر من أمتي.

قال اليهودي: صدقت يا محمد فما جزاء من قرأ فاتحة الكتاب؟

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من قرأ فاتحة الكتاب أعطاه الله بعدد كل آية أنزلت من السماء فيجزي بها ثوابها)[1].

– عن إسماعيل بن أبان يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجابر بن عبد الله: يا جابر ألا أعلمك أفضل سورة أنزلها الله في كتابه؟ قال: فقال جابر: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله علمنيها، قال: فعلمه الحمد لله أم الكتاب...)، الحديث[2].

ج٨٩، ص٢٢٧.

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٨٩، ص٢٢٨.

(٢) المصدر السابق: ص٢٣٧، وتفسير العياشي: ج١، ص٢٠،

– معاني الأخبار وعلل الشرائع: محمد بن علي بن الشاه، عن محمد بن جعفر البغدادي، عن أبيه عن أحمد بن السخت، عن محمد بن أسود الوراق، عن أيوب بن سليمان، عن حفص بن البختري، عن محمد بن حميد، عن محمد بن المكندر، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (مَنَّ عَلَيَّ ربي، وقال لي: يا محمد أرسلتك إلى كل أحمر وأسود، ونصرتك بالرعب، وأحللت لك الغنيمة، وأعطيتك لك ولامتك كنزاً من كنوز عرشي: فاتحة الكتاب، وخاتمة سورة البقرة...)، الخبر[1].

ثواب قراءتها مطلقاً:

– عن ابن عبّاس: بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أتاه ملك فقال: (أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبيّ قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ حرفاً منهما إلَّا أعطيته، وفي رواية أخرى: لن يقرأ أحد حرفاً منهما إلَّا أعطي ثواب شهيد)[2].

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٨٩، ص٢٣٠.

(٢) زبدة التفاسير، فتح الله الكاشاني: ج١، ص١٩.

ثواب قراءتها في الصلاة:

- عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله تبارك وتعالى: قسمت فاتحة الكتاب بيني وبين عبدي، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل، إذا قال العبد: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ**﴾، قال الله جل جلاله: بدأ عبدي باسمي، وحق علي أن أتمم له أموره. وأبارك له في أحواله، فإذا قال: ﴿**الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾، قال الله جل جلاله: حمدني عبدي وعلم أن النعم التي له من عندي، وأن البلايا التي دفعت عنه فبتطولي، أشهدكم أني أضيف له إلى نعم الدنيا نعم الآخرة، وأدفع عنه بلايا الآخرة كما دفعت عنه بلايا الدنيا، فإذا قال: ﴿**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾، قال الله جل جلاله: شهد لي بأني الرحمن الرحيم، أشهدكم لأوفرن من رحمتي حظه، ولأجزلن من عطائي نصيبه، فإذا قال: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾، قال الله عز وجل: أشهدكم، كما اعترف لي أني أنا مالك يوم الدين، لأسهلن يوم الحساب حسابه، ولأتقبلن حسناته، ولأتجاوزن عن سيئاته، فإذا قال: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾، قال الله عز وجل: صدق عبدي إياي يعبد، أشهدكم لأثيبنه على عبادته ثواباً يغبطه كل من خالفه في عبادته لي، فإذا قال: ﴿**وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾، قال الله عز وجل: بي استعان وإلي التجأ، أشهدكم لأعيننه على أمره، ولأغيثنه في شدائده، ولآخذن بيده يوم نوائبه، فإذا قال: ﴿**اهْدِنَا**

الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، إلى آخر السورة، قال الله عز وجل: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل، قد استجبت لعبدي وأعطيته ما أمل، وآمنته مما منه وجل)[١].

للشفاء من كل علة وداء:

- قال أمير المؤمنين عليه السلام: (اعتل الحسين عليه السلام، فاحتملته فاطمة عليها السلام فأتت النبي صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله ادع الله لابنك أن يشفيه، فقال صلى الله عليه وآله: يا بنية إن الله هو الذي وهبه لك، وهو قادر على أن يشفيه، فهبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله تعالى جده لم ينزل عليك سورة من القرآن إلا فيها (فاء) وكل (فاء) من آفة ما خلا الحمد، فإنه ليس فيها (فاء) فادع بقدح من ماء فاقرأ فيه الحمد أربعين مرة، ثم صب عليه فإن الله يشفيه، ففعل ذلك، فعوفي بإذن الله)[٢].

- قال الإمام الصادق عليه السلام: (قراءة الحمد شفاء من كل داء إلا السام)[٣].

- عن أبي محمد الفحام عن المنصوري عن عم أبيه عن الإمام

---

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق: ص٢٣٩ - ٢٤٠.

(٢) الدعوات، قطب الدين الراوندي: ص١٨٨.

(٣) المصدر السابق: ص١٨٩.

علي بن محمد عن آبائه عليهم السلام (قال الصادق عليه السلام: من نالته علة فليقرأ في جيبه الحمد سبع مرات، فإن ذهبت العلة، وإلا فليقرأها سبعين مرة وأنا الضامن له العافية)[١].

- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كسل أو أصابته عين أو صداع بسط يديه فقرأ فاتحة الكتاب والمعوذتين ثم يمسح بهما وجهه فيذهب عنه ما كان يجده)[٢].

- عن الباقر عليه السلام قال: (كل من لم تبرأه سورة الحمد و﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾ لم يبرأه شيء، وكل علة تبرأ بهاتين السورتين)[٣].

- عن إسماعيل بن أبان يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجابر بن عبد الله: (يا جابر ألا أعلمك أفضل سورة أنزلها الله في كتابه)؟ قال: فقال جابر: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله علمنيها، قال: فعلمه الحمد لله أم الكتاب، قال: ثم قال له: يا جابر الا أخبرك عنها؟ قال: بلى بابي أنت وأمي فأخبرني، قال: هي شفاء

---

(١) الأمالي، الشيخ الطوسي: ص٣٨٤، وعنه في وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج٤، ص٨٧٤.

(٢) طب الأئمة عليهم السلام، ابنا بسطام: ص٣٩، وعنه في وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج٤، ص٨٧٤.

(٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج٤، ص٨٧٤.

من كل داء إلا السام، يعني: الموت[١].

- وعن سلمة بن محرز عن الصادق عليه السلام قال: (من لم تُبرئه الحمد لم يُبرئه شيء)[٢].

- عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (لو قرأت الحمد على ميت سبعين مرة ثم ردت فيه الروح ما كان ذلك عجباً)[٣].

- عن النبي صلى الله عليه وآله، أنه قال: (في الحمد سبع مرات شفاء من كل داء، فإن عُوِّذ بها صاحبها مائة مرة، وكان الروح قد خرج من الجسد، رد الله عليه الروح)[٤].

- أُبِيْنَتْ[٥] إحدى يدي هشام بن عدي الهمداني في حرب صفين، فأخذ علي عليه السلام يده وقرأ شيئاً وألصقها، فقال: يا أمير المؤمنين ما قرأت؟ قال: (فاتحة الكتاب)، قال: فاتحة الكتاب! كأنه

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص٢٠، بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٨٩، ص٢٣٧.

(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج٤، ص٨٧٣.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢، ص٦٢٣، وعنه في وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج٤، ص٨٧٣.

(٤) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ج٤، ص٢٩٩.

(٥) أُبِين: فصل وقطع (لسان العرب، ابن منظور: ج١٣، ص٦٣).

استقلها، فانفصلت يده نصفين، فتركه علي عليه السلام، ومضى[١].

- وعن أبي سليمان قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله، في غزاة، فصُرِع رجل، فقرأ بعض الصحابة فاتحة الكتاب في أُذنه، فقام وعوفي من صرعه، فقلنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله، فقال صلى الله عليه وآله: (هي أم القرآن وهي شفاء من كل داء)[٢].

- عن أبي سعيد الخدري قال: قال [رسول الله صلى الله عليه وآله]: (فاتحة الكتاب، شفاء من كل سم)[٣].

- عن المفضل بن عمر، عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، أنه دخل عليه رجل من مواليه وقد وعك فقال: (ما لي أراك متغير اللون؟) فقال: جُعلت فداك، وعكت وعكاً شديداً، منذ شهر، لم تنقلع الحمى عني، وقد عالجت نفسي بكل ما وصفه لي المترفقون فلم انتفع بشيء من ذلك، فقال له الصادق عليه السلام: (حل أزرار قميصك [وادخل رأسك في قميصك] وأذن وأقم، واقرأ سورة

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج٢، ص١٦١، وعنه في مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ج٤، ص٣٠٠.

(٢) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ج٤، ص٣٠١.

(٣) روض الجنان ورح الجنان في تفسير القرآن، الشيخ أبو الفتوح الرازي: ج١، ص٣٢، وعنه في مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ج٤، ص٣٠١، وفي المصدر: هم.

الحمد سبع مرات)، قال: ففعلت ذلك فكأنما نشطت من عقال[١].

– عن علي بن أبي حمزه عن أبي الحسن عليه السلام قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض مغازيه إذ شكوا إليه البراغيث أنها تؤذيهم، فقال: إذا أخذ أحدكم مضجعه فليقل: (أيها الأسوَد الوثاب الذي لا يبالي غَلْقاً ولا باباً، عزمت عليك بأم الكتاب ألّا تؤذيني وأصحابي إلى أن يذهب الليل ويجيء الصبح بما جاء)، والذي نعرفه: (إلى أن يؤوب الصبح متى ما آب)[٢].[٣]

– قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إن النبي صلى الله عليه وآله لسعته العقرب، وهو قائم يصلي، فقال: لعن الله العقرب، لو ترك أحداً لترك هذا المصلي، يعني نفسه صلى الله عليه وآله، ثم دعا بماء وقرأ عليه الحمد والمعوذتين، ثم جرع منه جرعاً ثم دعا بملح ودافه في الماء وجعل يدلك صلى الله عليه وآله ذلك الموضع حتى سكن)[٤].

---

(١) طب الأئمة عليهم السلام، ابنا بسطام: ص٥٢، وعنه في مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ج٤، ص٢٩٨.

(٢) ذكر في هامش الكافي ما لفظه: (والذي نعرفه) هذا كلام الراوي، أي: علي بن الحكم يقول: المشهور بيننا هذه العبارة مكان: (إلى أن يذهب الليل... إلخ، لكن هذه الرواية هكذا جاءت، وقيل: هو كلام أبي حمزة اعتراضاً على الإمام عليه السلام لكونه واقفياً بناء على أن المراد بأبى الحسن ، الرضا عليه السلام ولا يخفى ما فيه.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢، ص٥٧١.

(٤) دعوات الراوندي: ص١٢٨، وعنه في بحار الأنوار، العلامة المجلسي:

– عبد الله بن زهير العابد، وكان من زهاد الشيعة، عن عبد الله بن الفضل النوفلي، عن أبيه قال: شكى رجل إلى أبي عبد الله الصادق عليه السلام فقال: إن لي صبياً ربما أخذه ريح أم الصبيان، فآيس منه لشدة ما يأخذه ، فإن رأيت يا ابن رسول الله أن تدعو الله عز وجل له بالعافية، قال : فدعا الله عز وجل له، ثم قال: اكتب له سبع مرات الحمد بزعفران ومسك، ثم اغسله بالماء، وليكن شرابه منه شهراً واحداً، فإنه يعافى منه، قال: ففعلنا به ليلة واحدة، فما عادت إليه واستراح واسترحنا[1].

– وعنه عليه السلام أنه قال: ما قرئ سورة الحمد على وجع من الأوجاع سبعين مرة إلا سكن بإذن الله تعالى[2].

– وعن أبي جعفر محمد الباقر عليهما السلام أنه شكى إليه رجل من المؤمنين فقال: يا ابن رسول الله إن لي جارية يتعرض لها الأرواح، فقال: عوِّذها بفاتحة الكتاب والمعوذتين عشراً عشراً، ثم اكتبه لها في جام بمسك وزعفران، فاسقها إياه، يكون في شرابها ووضوئها

ج٩٢، ص١٤٧.

(١) طب الأئمة عليهم السلام، ابنا بسطام: ص٨٨، وعنه في بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٩٢، ص١٤٨.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٩٢، ص١٤٨.

وغسلها، ففعلت ذلك ثلاثة أيام فذهب الله به عنها[١].

- عن خارجة بن الصلت، قال: رجعت مع عمي من عند رسول الله ﷺ فمررنا بقبيلة من قبائل العرب، فقالوا: ظننا أنكم تقدمون من عند هذا الذي يدِّعي النبوة، وعندنا رجل قد جُنَّ وقد أوثقناه، فهل عندكم شيء فيه راحة؟ فقال عمِّي: نعم فذهبوا بنا إلى عند المجنون فقرأ عمِّي فاتحة الكتاب، وكان يجمع بصاقه في فمه وكلما قرأه مرات ألقى بصاقه في فمه، فعل ذلك به ثلاثة أيام فبرأ بإذن الله تعالى، فأعطوني شيئاً، فقلنا: لا نأكله حتى نسأل رسول الله ﷺ أنه حلال، فلما سألناه قال ﷺ: من أكل بِرُقْية باطل، فهذا بِرُقْية حَقٍ[٢].

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٩٢، ص١٤٩.

(٢) روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن، الشيخ أبو الفتوح الرازي: ج١، ص٣٢، وعنه في جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي: ج١٧، ص٢٥٧، ورواه -مختصراً- ابن الأثير في أسد الغابة: ج٢، ص٧٤، فقال: روى يعلى بن عبيد عن زكريا بن أبي زائدة عن الشعبي قال حدثني خارجة بن الصلت أن عمه أدرك النبي ﷺ فأسلم ثم رجع فمر بأعرابي مجنون موثق في الحديد، فقال بعضهم: من عنده شيء يداويه به؟ فان صاحبكم جاء بالخير، فقلت: نعم، فرقيته بأم الكتاب كل يوم مرتين، فبرأ، فأعطاني مئة شاة، فلم آخذها حتى أتيت النبي ﷺ فأخبرته، فقال: أقلت شيئاً غير هذا، قلت: لا، قال: كُلْها بسم الله، فلعمري مَن أكل بِرُقْيَةِ باطلٍ فقد أكلتَ بِرُقْيَةِ حَقٍّ.

لرفع العذاب:

- عن حذيفة بن اليمان أنّ النبيّ ﷺ قال: (إنّ القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيّاً، فيقرأ صبيّ من صبيانهم في الكتاب: ﴿**الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعالَمِينَ**﴾، فيسمعه الله تعالى، فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة)[١].

منفرة للشيطان:

- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن إبليس رنَّ رنيناً لما بعث الله نبيه ﷺ على حين فترة من الرسل، وحين أنزلت أم الكتاب)[٢].

لقضاء الحوائج:

- عن أبي بكر الحضرمي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (إذا كانت لك حاجة فاقرأ المثاني وسورة أخرى، وصل ركعتين، وادع الله)، قلت: أصلحك الله وما المثاني؟ قال: (فاتحة الكتاب ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ* الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ...**﴾)[٣].

(١) زبدة التفاسير، فتح الله الكاشاني: ج١، ١٩.

(٢) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي: ج١، ص٢٩، وعنه في بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٨٩، ص٢٣٠. (أم القرآن) بدلاً عن (أم الكتاب).

(٣) تفسير العياشي: ج١، ص٢٠، بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٨٩، ص٢٣٧.

اختلاف القراءات:

- عن محمد بن علي الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه كان يقرأ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[١].

- عن داود بن فرقد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام: يقرأ ما لا أحصي: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[٢].

منزلتها عند الأئمة عليهم السلام:

- عن الزهري قال: قال علي بن الحسين عليهما السلام: (لو مات ما بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي، وكان إذا قرء ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، يكررها ويكاد أن يموت)[٣].

قصة الإمام الصادق عليه السلام ورجل من القدرية:

- عن الحسن بن محمد الجمال، عن بعض أصحابنا قال: بعث عبد الملك بن مروان إلى عامل المدينة أن وجه إليَّ محمد بن علي بن الحسين ولا تهيجه ولا تروعه، واقض له حوائجه، وقد كان ورد على عبد الملك رجل من القدرية فحضر جميع من كان

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص٢٠، بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٨٩، ص٢٣٩.

(٢) المصدران السابقان.

(٣) المصدران السابقان

بالشام، فأعياهم جميعاً، فقال: ما لهذا إلا محمد بن علي، فكتب إليَّ صاحب المدينة أن يحمل محمد بن علي إليه.

فأتاه صاحب المدينة بكتابه فقال له أبو جعفر عليه السلام: إني شيخ كبير لا أقوى على الخروج، وهذا جعفر ابني يقوم مقامي فوجهه إليه، فلما قدم على الأموي أزراه لصغره، وكره أن يجمع بينه وبين القدري مخافة أن يغلبه، وتسامع الناس بالشام بقدوم جعفر لمخاصمة القدري.

فلما كان من الغد اجتمع الناس لخصومتهما، فقال الأموي لأبي عبد الله عليه السلام: إنه قد أعيانا أمر هذا القدري، وإنما كتبت إليك لأجمع بينك وبينه، فإنه لم يدع عندنا أحداً إلا خصمه فقال: إن الله يكفيناه.

قال: فلما اجتمعوا قال القدري لأبي عبد الله عليه السلام: سل عما شئت، فقال له: اقرأ سورة الحمد، قال: فقرأها، وقال الأموي -وأنا معه-: ما في سورة الحمد علينا، إنا لله وإنا إليه راجعون، قال: فجعل القدري يقرأ سورة الحمد، حتى بلغ قول الله تبارك وتعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ فقال له جعفر عليه السلام: قف، مَن تستعين، وما حاجتك إلى المعونة؟ إن كان الأمر إليك؟ فبهت الذي كفر، والله لا يهدي القوم الظالمين[1].

(١) تفسير العياشي: ج١، ص٢٠، بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٨٩، ص٢٤٠.

تفسير سورة الحمد في روايات أهل البيت عليهم السلام:

كان المناسب أن نقدم تفسيرها ليكون القارئ على اطلاع بما تضمه من معاني قبل الخوض في آثارها، ولكن لما كان الكلام في تفسير أعظم سورة في كتاب الله تعالى طويلاً، ارتأينا أن نجعله في آخر الكتاب ليتم الكتاب به، ونحن سنذكر ما ورد في تفسيرها من مصدرين:

ـ التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام:

قوله عز وجل: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

- قال الإمام عليه السلام: جاء رجل إلى الرضا عليه السلام فقال: يا ابن رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿**الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ ما تفسيره؟

قال عليه السلام: لقد حدثني أبي، عن جدي، عن الباقر عن أبيه زين العابدين عليهم السلام: أن رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿**الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ ما تفسيرها؟ فقال:

﴿**الْحَمْدُ للهِ**﴾: هو أنْ عرَّف الله عباده بعضَ نِعَمِه جملاً، إذ لا

يقدرون على معرفة جميعها بالتفصيل، لأنها أكثر من أن تحصى أو تعرف، فقال لهم: قولوا: ﴿**الْحَمْدُ للهِ**﴾ على ما أنعم به علينا.

﴿**رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾: يعني مالك العالمين، وهم الجماعات من كل مخلوق، من الجمادات والحيوانات، فأما الحيوانات، فهو يقلبها في قدرته، ويغذوها من رزقه، ويحيطها بكنفه، ويدبر كلاً منها بمصلحته، وأما الجمادات فهو يمسكها بقدرته، يمسك ما اتصل المتصل منها أن يتهافت، ويمسك المتهافت منها أن يتلاصق، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا باذنه، ويمسك الأرض أن تنخسف إلا بأمره، إنه بعباده لرؤوف رحيم.

قال: و﴿**رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾، مالكهم وخالقهم وسائق أرزاقهم إليهم، من حيث هم يعلمون، ومن حيث لا يعلمون، فالرزق مقسوم، وهو يأتي ابن آدم على أي سيرة سارها من الدنيا، ليس تقوى متق بزائده، ولا فجور فاجر بناقصه، وبينه وبينه ستر، وهو طالبه، ولو أن أحدكم يتربص رزقه لطلبه رزقه، كما يطلبه الموت.

قال: فقال الله تعالى لهم: قولوا: ﴿**الْحَمْدُ للهِ**﴾ على ما أنعم به علينا وذكرنا به من خير في كتب الأولين قبل أن نكون.

ففي هذا إيجاب على محمد وآل محمد لما فضله وفضلهم، وعلى شيعته أن يشكروه بما فضلهم وذلك أن رسول الله ﷺ قال:

لما بعث الله موسى بن عمران واصطفاه نجياً وفلق البحر فنجى بني إسرائيل، وأعطاه التوراة والألواح، رأى مكانه من ربه عز وجل فقال: رب لقد كرمتني بكرامة لم تكرم بها أحداً قبل، فقال الله عز وجل: يا موسى أما علمت أن محمداً أفضل عندي من جميع خلقي.

قال موسى: يا رب فإن كان محمد أكرم من جميع خلقك، فهل في آل الأنبياء عندك أكرم من آلي؟ قال الله تعالى: يا موسى أما علمت أن فضل آل محمد على جميع آل النبيين كفضل محمد على جميع المرسلين؟ فقال: يا رب فإن كان فضل آل محمد عندك كذلك، فهل في أصحاب الأنبياء أكرم عندك من صحابتي؟ قال الله: يا موسى أما علمت أن فضل صحابة محمد على جميع صحابة المرسلين كفضل آل محمد على جميع صحابة المرسلين.

فقال موسى: يا رب فإن كان محمد وآله وأصحابه كما وصفت، فهل في أمم الأنبياء أفضل عندك من أمتي؟ ظللت عليهم الغمام، وأنزلت عليهم المن والسلوى وفلقت لهم البحر؟ فقال الله تعالى: يا موسى أما علمت أن فضل أمة محمد على جميع الأمم كفضلي على جميع خلقي؟ قال موسى: يا رب ليتني كنت أراهم.

فأوحى الله عز وجل إليه: يا موسى إنك لن تراهم، فليس هذا أوان ظهورهم، ولكن سوف تراهم في الجنة جنات عدن والفردوس، بحضرة محمد، في نعيمها يتقلبون في خيراتها يتبجحون، أفتحب أن أسمعك كلامهم؟ قال: نعم يا رب، قال: قم بين يدي، واشدد مئزرك قيام العبد الذليل بين يدي السيد المالك الجليل، ففعل ذلك، فنادى ربنا عز وجل يا أمة محمد، فأجابوه كلهم، وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم:

لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة والملك لك لا شريك لك لبيك، قال: فجعل الله تعالى الإجابة منهم شعار الحج.

ثم نادى ربنا عز وجل يا أمة محمد إن قضائي عليكم أن رحمتي سبقت غضبي، وعفوي قبل عقابي، فقد استجبت لكم قبل أن تدعوني، وأعطيتكم قبل أن تسألوني، من لقيني منكم يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، صادق في أقواله، محق في أفعاله، وأن علي بن أبي طالب أخوه ووصيه من بعده ووليه، يلتزم طاعته كما يلتزم طاعته محمد، وأن أولياءه المصطفين المطهرين الميامين بعجائب آيات الله، ودلايل حجج الله من بعدهما أولياؤه أُدخله جنتي وإن كانت ذنوبه مثل زبد البحر.

قال: فلما بعث نبينا محمد صلى الله عليه وآله قال الله تعالى: يا محمد وما كنت بجانب الطور إذ نادينا أمتك بهذه الكرامة، ولكن رحمة من ربك ثم قال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وآله: قل ﴿**الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ على ما اختصنا به من هذه الفضيلة، وقال لامته: وقولوا أنتم: ﴿**الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ على ما اختصنا به من هذا الفضل.

قوله عز وجل: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾:

- قال الإمام عليه السلام: ﴿**الرَّحْمَنِ**﴾ العاطف على خلقه بالرزق، لا يقطع عنهم مواد رزقه، وإن انقطعوا عن طاعته.

﴿**الرَّحِيمِ**﴾ بعباده المؤمنين، في تخفيفه عليهم طاعاته، وبعباده الكافرين في الرفق بهم في دعائهم إلى موافقته.

- قال الإمام عليه السلام في معنى الرحمن: ومن رحمته أنه لما سلب الطفل قوة النهوض والتغذي جعل تلك القوة في أمه، ورققها عليه لتقوم بتربيته، وحضانته فإن قسا قلب أم من الأمهات لوجب تربية هذا الطفل وحضانته على سائر المؤمنين ولما سلب بعض الحيوان قوة التربية لأولادها، والقيام بمصالحها، جعل تلك القوة في الأولاد لتنهض حين تولد، وتسير إلى رزقها المسبب لها.

- قال عليه السلام: وتفسير قوله عزَّ وجلَّ ﴿الرَّحْمَنِ﴾ أن قوله:

(الرحمن) مشتق من الرحمة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله عز وجل: أنا الرحمن، وهي الرحم، شققت لها اسماً من اسمي، من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته، ثم قال علي عليه السلام: أو تدري ما هذه الرحم التي من وصلها وصله الرحمن، ومن قطعها قطعه الرحمن؟

فقيل: يا أمير المؤمنين حث بهذا كل قوم أن يكرموا آباءهم، ويوصلوا أرحامهم، فقال لهم: أيحثهم على أن يوصلوا أرحامهم الكافرين، وأن يعظموا من حقره الله وأوجب احتقاره من الكافرين؟

قالوا: لا، ولكنه يحثهم على صلة أرحامهم المؤمنين.

قال: فقال: أوجب حقوق أرحامهم، لاتصالهم بآبائهم وأمهاتهم؟ قلت: بلى يا أخا رسول الله ﷺ قال: فهم إذاً إنما يقضون فيهم حقوق الآباء والأمهات؟

قلت: بلى يا أخا رسول الله، قال: وآباؤهم وأمهاتهم إنما غذوهم في الدنيا ووقوهم مكارهها، وهي نعمة زائلة، ومكروه ينقضي، ورسول ربهم ساقهم إلى نعمة دائمة لا ينقضي، ووقاهم مكروهاً مؤبداً لا يبيد، فأي النعمتين أعظم؟ قلت:

نعمة رسول الله ﷺ أجل وأعظم وأكبر، قال: فكيف يجوز

أن يحث على قضاء حق من صغَّر الله حقه، ولا يحث على قضاء حق من كبَّر الله حقه، قلت: لا يجوز ذلك، قال: فإذاً حق رسول الله صلى الله عليه وآله أعظم من حق الوالدين، وحق رحمه أيضاً أعظم من حق رحمهما، فرحم رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً أعظم وأحق من رحمهما، فرحم رسول الله صلى الله عليه وآله أولى بالصلة، وأعظم في القطيعة.

فالويل كل الويل لمن قطعها، فالويل كل الويل لمن لم يعظم حرمتها، أوَ ما علمت أن حرمة رحم رسول الله صلى الله عليه وآله حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله حرمة الله، وأن الله أعظم حقاً من كل منعم سواه، فإن كل منعم سواه إنما أنعم حيث قيضه له ذلك ربه، ووفقه له.

أما علمت ما قال الله لموسى بن عمران؟ قلت: بأبي أنت وأمي ما الذي قال له؟ قال: قال الله تعالى: أو تدري ما بلغت رحمتي إياك؟ فقال موسى:

أنت أرحم بي من أبي وأمي قال الله: يا موسى وإنما رحمتك أمك لفضل رحمتي أنا الذي رققتها عليك وطيبت قلبها لتترك طيب وسنها لتربيتك، ولو لم أفعل ذلك بها لكانت وسائر النساء سواء، يا موسى أتدري أن عبداً من عبادي تكون له ذنوب وخطايا تبلغ أعنان السماء فأغفرها له، ولا أبالي؟.

قال: يا رب وكيف لا تبالي، قال تعالى: لخصلة شريفة تكون في عبدي أحبها، وهو أن يحب إخوانه المؤمنين، ويتعاهدهم، ويساوي نفسه بهم، ولا يتكبر عليهم، فإذا فعل ذلك غفرت له ذنوبه، ولا أبالي. يا موسى إن الفخر ردائي والكبرياء إزاري، من نازعني في شيء منهما عذبته بناري.

يا موسى إن من إعظام جلالي إكرام عبدي الذي أنلته حظاً من حطام الدنيا عبداً من عبادي مؤمناً، قصرت يده في الدنيا، فإن تكبر عليه فقد استخف بعظيم جلالي.

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الرحم التي اشتقها الله عز وجل من قوله: ﴿**الرَّحْمَنِ**﴾، هي رحم محمد صلى الله عليه وآله وإن من إعظام الله إعظام محمد، وإن من إعظام محمد إعظام رحم محمد، وإن كل مؤمن ومؤمنة من شيعتنا هو رحم محمد صلى الله عليه وآله، وإن إعظامهم من إعظام محمد صلى الله عليه وآله فالويل لمن استخف بحرمة محمد صلى الله عليه وآله، وطوبى لمن عظم حرمته وأكرم رحمه، ووصلها.

قوله عز وجل: ﴿**الرَّحِيمِ**﴾، قال الإمام عليه السلام: وأما قوله الرحيم معناه أنه رحيم بعباده، ومن رحمته أنه خلق مائة رحمة جعل منها رحمة واحدة في الخلق كلهم فبها يتراحم الناس، وترحم الوالدة ولدها، وتحنن الأمهات من الحيوانات على أولادها، فإذا

كان يوم القيامة، أضاف هذه الرحمة إلى تسعة وتسعين رحمة، فيرحم بها أمة محمد، ثم يشفعهم فيمن يحبون له الشفاعة من أهل الملة، حتى أن الواحد ليجيء إلى مؤمن من الشيعة، فيقول اشفع لي فيقول: وأي حق لك علي؟

فيقول: سقيتك يوماً فيذكر ذلك، فيشفع له فيشفع فيه، ويجيئه آخر فيقول: إن لي عليك حقاً فاشفع لي، فيقول: وما حقك علي؟ فيقول: استظللت بظل جداري ساعة في يوم حار، فيشفع له فيشفع فيه، ولا يزال يشفع حتى يشفع في جيرانه وخلطائه ومعارفه فإن المؤمن أكرم على الله مما يظنون.

قوله عز وجل: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾:

- قال الإمام عليه السلام: قادر على إقامة يوم الدين وهو يوم الحساب، قادر على تقديمه على وقته، وتأخيره بعد وقته، وهو المالك أيضاً في يوم الدين، فهو يقضي بالحق لا يملك الحق والقضاء في ذلك اليوم من يظلم ويجور، كما يجور في الدنيا من يملك الاحكام.

وقال: هو يوم الحساب سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ألا أخبركم بأكيس الكيسينَ وأحمق الحمقى؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: أكيس الكيسينَ مَن حاسب نفسه، وعمل لما بعد الموت،

وأحمق الحمقى من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

فقال الرجل: يا أمير المؤمنين وكيف يحاسب الرجل نفسه، قال: إذا أصبح ثم أمسى رجع إلى نفسه وقال: يا نفس إن هذا يوم مضى عليك لا يعود إليك أبداً والله يسألك عنه فيما أفنيتِه، فما الذي عملتِ فيه؟ أذكرتِ الله أم حمدتيه أقضيتِ حق أخ مؤمن؟ أنفَّستِ عنه كربته؟ أحفظتيه بظهر الغيب في أهله وولده؟ أحفظتيه بعد الموت في مخلفيه؟ أكففت عن غيبة أخ مؤمن بفضل جاهك؟ أأعنت مسلماً؟ ما الذي صنعتِ فيه؟ فيذكر ما كان منه.

فإن ذكر أنه جرى منه خير حمد الله عز وجل، وكبره على توفيقه، وإن ذكر معصية أو تقصيراً استغفر الله عز وجل على ترك معاودته، ومحا ذلك عن نفسه بتجديد الصلاة على محمد وآله الطيبين، وعرض بيعة أمير المؤمنين صلوات الله عليه على نفسه وقبولها، وإعادة لعن شانئيه وأعدائه ودافعيه عن حقوقه، فإذا فعل ذلك قال الله عز وجل: لست أناقشك في شيء من الذنوب مع موالاتك أوليائي ومعاداتك أعدائي.

قوله عز وجل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾:

قال الإمام عليه السلام: قال الله تعالى: قولوا يا أيها الخلق المنعم عليهم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، أيها المنعم علينا، نطيعك مخلصين مع

التذلل والخشوع، بلا رياء ولا سمعة.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، منك نسأل المعونة على طاعتك لنؤديها كما أمرت، ونتقي من دنيانا ما عنه نهيت، ونعتصم من الشيطان الرجيم، ومن سائر مردة الإنس من المضلين، ومن المؤذين الضالين بعصمتك.

وسئل أمير المؤمنين عليه السلام: مَن العظيم الشقاء؟ قال: رجل ترك الدنيا للدنيا ففاتته الدنيا وخسر الآخرة، ورجل تعبد واجتهد وصام رئاء الناس، فذلك الذي حرم لذات الدنيا، ولحقه التعب لو كان به مخلصاً لاستحق ثوابه فورد الآخرة وهو يظن أنه قد عمل ما يثقل به ميزانه، فيجده هباء منثوراً.

قيل: فمن أعظم الناس حسرة؟ قال: من رأى ماله في ميزان غيره، وأدخله الله به النار وأدخل وارثه به الجنة.

قال الإمام الصادق عليه السلام وأعظم من هذا حسرة رجل جمع مالاً عظيماً بكد شديد ومباشرة الأهوال، وتعرض الأخطار، ثم أفنى ماله صدقات ومبرات، وأفنى شبابه وقوته في عبادات وصلوات، وهو مع ذلك لا يري لعلي بن أبي طالب عليه السلام حقه، ولا يعرف له في الإسلام محله، ويرى أن من لا يعشره ولا يعشر عشير معشاره أفضل منه عليه السلام يوقف على الحجج فلا يتأملها، ويحتج عليه

بالآيات والأخبار فيأبى إلا تمادياً في غيه، فذاك أعظم من كل حسرة، يأتي يوم القيامة، وصدقاته ممثلة له في مثال الأفاعي تنهشه، وصلواته وعباداته ممثلة له في مثل الزبانية تتبعه، حتى تدُعَّه إلى جهنم دَعَّاً.

يقول: يا ويلي ألم أكُ من المصلين؟ ألم أكُ من المزكين؟ ألم أكُ عن أموال الناس من المتعففين، فلماذا دُهيت؟ فيقال له: يا شقي ما نفعك ما عملت وقد ضيعت أعظم الفروض بعد توحيد الله، والإيمان بنبوة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، ضيَّعت ما لزمك من معرفة حق علي ولي الله، والتزمت ما حرم الله عليك من الايتمام بعدو الله، فلو كان بدل أعمالك هذه عبادة الدهر من أوله إلى آخره وبدل صدقاتك الصدقة بكل أموال الدنيا بل بملء الأرض ذهباً، لما زادك ذلك من رحمة الله إلا بُعداً، ومن سخط الله إلا قرباً.

قال الإمام الحسن عليه السلام: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله قال الله تعالى: قولوا ﴿**إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾، على طاعتك وعبادتك، وعلى رفع شرور أعدائك، ورد مكائدهم، والمقام على ما أمرت به، وقال صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عن الله عز وجل: يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاسألوني الهدى أهدكم، وكلكم فقير إلا من أغنيت، فاسألوني الغنا أرزقكم، وكلكم مذنب إلا من عافيته، فاسألوني المغفرة أغفر لكم.

ومن علم أني ذو قدرة على المغفرة فاستغفرني بقدرتي، غفرت له، ولا أبالي ولو أن أولكم وآخركم، وحيكم وميتكم، ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على إنقاء قلب عبد من عبادي لم يزيدوا في ملكي جناح بعوضة، ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على إشقاء قلب عبد من عبادي لم ينقصوا من ملكي جناح بعوضة، ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا فتمنى كل واحد ما بلغت أمنيته فأعطيته لم يتبين ذلك في ملكي، كما لو أن أحدكم مر على شفير البحر فغمس فيه أبرة ثم انتزعها ذلك بأني جواد ماجد واجد عطائي كلام، وعداتي كلام، فإذا أردت شيئاً فإنما أقول له كن فيكون.

يا عبادي اعملوا أفضل الطاعات وأعظمها لا سامحكم وإن قصرتم فيما سواها واتركوا أعظم المعاصي وأقبحها لئلا أناقشكم في ركوب ما عداها، إن أعظم الطاعات توحيدي، وتصديق نبيي والتسليم لمن ينصبه بعده، وهو علي بن أبي طالب والأئمة الطاهرين من نسله صلوات الله عليهم، وإن أعظم المعاصي عندي الكفر بي وبنبيي ومنابذة ولي محمد بعده علي بن أبي طالب وأولياؤه بعده.

فان أردتم أن تكونوا عندي في المنظر الأعلى، والشرف الأشرف، فلا يكونن أحد من عبادي آثر عندكم من محمد، وبعده

من أخيه علي، وبعدهما من أبنائهما القائمين بأمور عبادي بعدهما، فإن من كان ذلك عقيدته جعلته من أشرف ملوك جناني.

واعلموا أن أبغض الخلق إليَّ من تمثل بي وادعى ربوبيتي، وأبغضهم إليَّ بعده من تمثل بمحمد ونازعه نبوته وادعاها، وأبغضهم إليَّ بعده من تمثل بوصي محمد ونازعه محله وشرفه وادعاهما، وأبغضهم إليَّ بعد هؤلاء المدعين لما هم به لسخطي متعرضون، من كان لهم على ذلك من المعاونين، وأبغض الخلق إليَّ بعد هؤلاء من كان من الراضين بفعلهم، وإن لم يكن لهم من المعاونين.

كذلك أحب الخلق إليَّ القوامون بحقي وأفضلهم لدي وأكرمهم عليَّ محمد سيد الورى، وأكرمهم وأفضلهم بعده علي أخو المصطفى المرتضى، ثم من بعده من القوامين بالقسط من أئمة الحق، وأفضل الناس بعدهم من أعانهم على حقهم وأحب الخلق إلى بعدهم من أحبهم وأبغض أعداءهم، وإن لم يمكنه معونتهم.

قوله عز وجل: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾:

- قال الإمام عليه السلام: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، نقول: أدم لنا توفيقك الذي أطعناك في ماضي أيامنا حتى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا.

والصراط المستقيم، هو صراطان:

صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة، فأما الطريق المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير، واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل، والطريق الآخر طريق المؤمنين إلى الجنة الذي هو مستقيم، لا يعدلون عن الجنة إلى النار، ولا إلى غير النار سوى الجنة.

وقال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: قوله عز وجل ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، نقول: أرشدنا للصراط المستقيم، أي للزوم الطريق المؤدي إلى محبتك، والمبلغ إلى جنتك، والمانع أن نتبع أهواءنا فنعطب، ونأخذ بآرائنا فنهلك.

ثم قال الصادق عليه السلام: طوبى للذين هم كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يحمل هذا العلم من كل خلف عدول ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

فقال رجل: يا ابن رسول الله إني عاجز ببدني عن نصرتكم ولست أملك إلا البراءة من أعدائكم، واللعن لهم، فكيف حالي؟

فقال له الصادق عليه السلام: حدثني أبي، عن أبيه عن جده عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: من ضعف عن نصرتنا أهل البيت، فلعن في خلواته أعداءنا، بلَّغ الله صوته جميع الأملاك من الثرى إلى

العرش، فكلما لعن هذا الرجل أعداءنا لَعْناً ساعَدُوه، ولعنوا من يلعنه، ثم ثَنَّوا فقالوا: اللهم صل على عبدك هذا، الذي قد بذل ما في وسعه، ولو قدر على أكثر منه لفعل، فإذا النداء من قبل الله عز وجل: قد أجبت دعاءكم وسمعت نداءكم، وصليت على روحه في الأرواح، وجعلته عندي من المصطفين الأخيار.

قوله عز وجل: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾:

- قال الإمام عليه السلام: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، أي قولوا: إهدنا الصراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك، وهم الذين قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾.

ثم قال: ليس هؤلاء المنعَم عليهم بالمال وصحة البدن وإن كان كل هذا نعمة من الله ظاهرة، ألا ترون أن هؤلاء قد يكونون كفاراً أو فُسَّاقاً؟ فما ندبتم بأن تدعوا بأن ترشدوا إلى صراطهم، وإنما أمرتم بالدعاء لأن تُرشدوا إلى صراط الذين أنعم عليهم بالإيمان بالله، وتصديق رسول الله صلى الله عليه وآله وبالولاية لمحمد وآله الطيبين، وبالتقية الحسنة التي بها يسلم من شر عباد الله، ومن الزيادة في آثام أعداء الله وكفرهم، بأن تداريهم ولا تغريهم بأذاك وأذى المؤمنين،

وبالمعرفة بحقوق الإخوان من المؤمنين.

فإنه ما من عبد ولا أمة والى محمداً وآل محمد، وعادى من عاداهم إلا كان قد اتخذ من عذاب الله حصناً منيعاً، وجُنة حصينة، وما من عبد ولا أمة دارى عباد الله بأحسن المداراة، ولم يدخل بها في باطل ولم يخرج بها من حق إلا جعل الله نفَسَه تسبيحاً وزكَّى عمله، وأعطاه -لصبره على كتمان سرنا واحتمال الغيظ لما يسمعه من أعدائنا- ثواب المتشحط بدمه في سبيل الله.

وما من عبد أخذ نفسه بحقوق إخوانه فوفاهم حقوقهم جهده، وأعطاهم ممكنه، ورضي منهم يعفوهم، وترك الاستقصاء عليهم، فما يكون من زللهم غفرها لهم، إلا قال الله عز وجل له يوم القيامة: يا عبدي قضيت حقوق إخوانك، ولم تستقص عليهم فيما لك عليهم، فأنا أجود وأكرم، وأولى بمثل ما فعلته من المسامحة والتكرم، فأنا أقضيك اليوم على حق وعدتك به، وأزيدك من فضلي الواسع، ولا أستقصي عليك في تقصيرك في بعض حقوقي قال: فيلحقه محمداً وآله وأصحابه، ويجعله من خيار شيعتهم.

ثم قال: قال رسول الله ﷺ لبعض أصحابه ذات يوم: يا عبد الله أحب في الله وأبغض في الله، وعاد في الله، فإنه لا تنال ولاية الله إلا بذلك، ولا يجد أحدٌ طعم الإيمان، وإن كثرت صلاته وصيامه

حتى يكون كذلك، وقد صارت مواخاة الناس يومكم هذا أكثرها في الدنيا، عليها يتوادون وعليها يتباغضون، وذلك لا يغني عنهم من الله شيئاً.

فقال الرجل: يا رسول الله وكيف لي أن أعلم أني قد واليت وعاديت في الله ومن ولي الله حتى أواليه؟ ومن عدو الله حتى أعاديه؟ فأشار له رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: أترى هذا؟ قال: بلى، قال: ولي هذا ولي الله فوَالِهِ، وعدو هذا عدو الله فعَادِه، ووال ولي هذا ولو أنه قاتل أبيك وولدك، وعادِ عدو هذا ولو أنه أبوك وولدك.

قوله عز وجل: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾:

- قال أمير المؤمنين عليه السلام: أمر الله عباده أن يسألوه طريق المنعم عليهم، وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، وأن يستعيذوا من طريق المغضوب عليهم، وهم اليهود الذين قال الله تعالى فيهم:

﴿**هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللهِ مَن لَّعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ**﴾، وأن يستعيذوا به عن طريق الضالين، وهم الذين قال الله فيهم:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ وهم النصارى.

ثم قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: كل من كفر بالله فهو مغضوب عليه، وضال عن سبيل الله.

وقال الرضا عليه السلام كذلك وزاد فيه: ومن تجاوز بأمير المؤمنين العبودية فهو من المغضوب عليهم ومن الضالين[1].

ـ تفسير القمي:

وفي تفسير القمي، علي بن إبراهيم نجد هذه الروايات في تفسير سورة الفاتحة:

– عن أبي، عن ابن أبي عمير، عن النضر، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: **﴿الْحَمْدُ للهِ﴾** قال: الشكر لله، وفي قوله: **﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** قال: خلق المخلوقين **﴿الرَّحْمـنِ﴾** بجميع خلقه **﴿الرَّحِيمِ﴾** بالمؤمنين خاصة: **﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾**، قال: يوم الحساب، والدليل على ذلك قوله: **﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هُذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾**، يعني يوم الحساب: **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾**، مخاطبة الله عز وجل: **﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾**، مثله **﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾**، قال: هو أمير

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٨٩، ص٢٤٥– ٢٥٦.

المؤمنين صلوات الله عليه ومعرفته والدليل على أنه أمير المؤمنين قوله: ﴿**وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾، وهو أمير المؤمنين صلوات الله عليه في أم الكتاب في قوله ﴿**الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾[١].

- عن أبي، عن حماد، عن حريز، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قرأ: (﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين﴾، قال: المغضوب عليهم النصاب، والضالين اليهود والنصارى)[٢].

- عن أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿**غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ**﴾، قال المغضوب عليهم: النصاب، والضالين الشكاك الذين لا يعرفون الإمام[٣].

- عن الصادق عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ**﴾، قال: (يقول: أرشدنا إلى الطريق المستقيم، أرشدنا للزوم الطريق المؤدي إلى محبتك، والمبلغ دينك، والمانع من أن نتبع أهواءنا فنتعطب أو نأخذ بآرائنا فنهلك)[٤].

---

(١) المصدر السابق: ج٨٩، ص٢٢٩.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٨٩، ص٢٣٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق: ج٨٩، ص٢٢٨.

– عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله «ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم» فقال: فاتحة الكتاب [يثنى فيها القول، قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله من علي بفاتحة الكتاب] من كنز الجنة، فيها: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ**﴾، الآية التي يقول فيها: ﴿**وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا**﴾.

و﴿**الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾، دعوى أهل الجنة حين شكروا الله حسن الثواب.

و﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾، قال جبرئيل: ما قالها مسلم قط إلا صدقه الله وأهل سماواته:

﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾، إخلاص العبادة.

﴿**وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾، أفضل ما طلب به العباد حوائجهم

﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾، صراط الأنبياء، وهم الذين أنعم الله عليهم

﴿**غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ**﴾ اليهود «وغير الضالين» النصارى[1].

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٨٩، ص٢٣٨.

تفسير سورة الفاتحة من كتب التفسير:

قد تقدم تفسير البسملة في القسم الأول، وهنا نكمل تفسير سائر آيات الفاتحة من نفس الكتاب[1]، ليستمر الكلام بنفس النسق، فنقول:

تفسير قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

﴿الْحَمْدُ للهِ﴾:

قد دلت الآية على أن الحمد كله متمحض لله تعالى، وقبل بيان ذلك نشير إلى الفرق بين الحمد والمدح، فنقول:

قالوا: إن المدح هو الثناء سواء أكان على شيء اختياري، أو غير اختياري، فقد تمدح الإنسان على إنقاذه الغريق، وقد تمدحه أيضاً على جماله، وعلى طوله، مع أن الجمال والطول هما خلقة الله، وليس للإنسان فيهما أي اختيار.

وتذم بعض المخلوقات على أفعالها السيئة وعلى شكلها الذي تراه قبيحاً أو غير متناسق، مع أن القبح ليس من اختيار الإنسان.

أما الحمد، فهو - كما يقولون -: الثناء على الفعل الجميل الاختياري، ونحن لا نوافق على قولهم هذا، ونقول: إن هذا الحمد

(١) تفسير سورة الفاتحة، السيد جعفر مرتضى العاملي.

الوارد في هذه السورة وغيرها قد يكون على فعل اختياري كفعل الخالقية، والرازقية، والمغفرة، الخ، وقد يكون ثناءً عليه تعالى بأنه حيٌّ قيُّوم منـزَّه عن الشريك، وعن النقص، وعن الصاحبة والولد، مع أن عدم وجود شريك له تعالى ليس فعلاً اختيارياً له سبحانه، بل هو ليس من مقولة الفعل أصلاً.

وخلاصة الأمر: إن الأفعال المشيرة إلى صفات الفعل تصدر عنه تعالى باختياره، فالله قويٌّ لأنه يصدر عنه باختياره ما يشير إلى القوة، وهو رحيم، خالق، رازق، حكيم، لأنه يصدر عنه باختياره فعل يشير إلى الرحمة والرازقية والحكمة إلخ، فيستحق الحمد لأجل ذلك، كما يستحق الحمد لأجل أنه حيٌّ قيُّوم، لا شريك له، ولا نقص فيه.

اختصاص الحمد بالله سبحانه:

وعن سبب تخصيص الحمد كلِّه بالله تعالى:

إن (أل) للجنس أو للاستغراق وعلى كلا الحالتين تفيد الاستغراق والشمول للأفراد، والفرق بينهما إنما هو بالاعتبار، والإجمال والتفصيل، أي: أن حقيقة الحمد إنما يستحقها الله سبحانه، أو أن الذي يستحق جميع أفراد ومراتب الحمد هو الله سبحانه، فعلى الأول: تكون للجنس، وعلى الثاني: تكون للاستغراق.

والسر في ذلك هو أن البسملة قد جعلتنا نعترف بأن الله الذي له صفة الألوهية متصف بجميع صفات الجمال والجلال والكمال، فإذا أردنا أن نطلب من الله سبحانه أن يفيض علينا من خلال هذه الصفات: الرزق، والمغفرة، والشفاء، والخلق، والقوة، والصحة.. إلخ، فمفتاح ذلك كله هو الرحمة الإلهية، فلا بد من الدخول من بابها، فإنه تعالى ممتلئ رحمة، وكثيرة هي رحماته بمقتضى (رحمان).

ثم لأجل استمرار الاستفادة من فيوضات الرحمة التي هي من مقتضيات صفات الألوهية لا بد من ثبات هذه الرحمة ودوامها مفيضة ومنيلة، كما ألمحت إليه كلمة (الرحيم).

وبعد تقديم ذلك الاعتراف بأنه سبحانه قد أفاض علينا من كل ما تقتضيه تلك الصفات بجميع فروعها من جلالية وجمالية، أو فقل: من صفات فعل أو صفات ذات، يأتي الحمد والثناء بمثابة اعتراف بهذه الفيوضات، لأنها هي التي دفعتنا لهذا الثناء، وإنما اعتبرنا أن المستحق لحقيقة الحمد، أو لكل مرتبة من مراتب الحمد وكل فرد من أفراده هو الله سبحانه، لأن كل ما يصل إلينا من خلال الإفاضة المباشرة مثل خلقنا، أو بالواسطة، كإحسان الوالدين لنا، ومثل ما نستفيده من الطبيعة كالأرض، والشجر، والشمس، والنجوم، إن كل ذلك إنما ينتهي إلى الله سبحانه بالمباشرة أو بالواسطة، وهذا يفسر لنا إضافة (أل) الاستغراقية أو الحقيقية إلى كلمة (حمد)، فقال:

(الحمد).

الحمد والرحمة بداية ونهاية:

والملفت للنظر هنا: أنه سبحانه تعالى قد أفهمنا أن (الرحمانية والرحيمية) كانت هي البداية كذلك كانت هي النهاية، حيث قال: ﴿**الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ**﴾، أي: أننا حين نجعل اسم الله مُلابساً وليس - فقط - مصاحباً لكل شيء، فإننا ندخل ونصل إليه من باب الرحمانية والرحيمية، ونستمد منه كل خير، حتى إنه هو الذي يستحق الحمد الحقيقي، أو يستحقه بجميع مراتبه وأفراده، ونبقى مع هذه الرحمة حتى نصل إلى النهاية، أي: أننا مع الرحمة منذ بدء خلقنا مروراً بالرازق، والمعافي، والشافي، والمربي، وو، وانتهاءً بالتواب والغفور، ثم تكون النهاية الرحمة أيضاً، فلا بد أن يكون الحمد أيضاً هو النهاية، كما كانت البداية هي الحمد، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿**وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾.

إذن، فالله سبحانه يريد أن يهيئ الإنسان لأن ينظر إلى كل حياته، وكل آفاقها في بداياتها وفي سيرها التكاملي، ثم في نهايتها، نظرة شمولية، مستوعبة، وواعية وعميقة، تربط الأمور بأسبابها، ثم بنتائجها، إنه سبحانه يريد لهذا الإنسان أن يفتح عينيه على حقيقة الحياة ويسجل اعترافه المباشر بتاريخ ارتباطه بالله سبحانه، وارتباط

الكون كله به تعالى، وبرعايته سبحانه له من قبل أن يخلق، وإلى ما بعد أن يبعث ويحشر.

والاعتراف بهذا التاريخ، والانصياع له، والإيمان به يوصل إلى الحمد، إذ لا يمكن أن تكون حامداً كل الحمد إذا لم تعرف وتعترف بكل ما صدر منه وعنه تعالى تجاهك، وتجاه كل المخلوقات في هذا الكون الأرحب الذي بناه لتستفيد منه في تكاملك في إنسانيتك وفي مسيرتك نحو الله سبحانه.

وهكذا يتضح: كيف أن هذه الكلمة هي في الحقيقة المفتاح للمعارف الاعتقادية، وهي الأساس القوي للنظرة إلى الكون وإلى الحياة، نظرة عميقة وواعية، من خلال التوحيد الخالص والصافي، فمن الواضح: أن أحداً لا يستطيع أن يحمد الله بصدق ووعي من دون أن يملك هذه النظرة: بل إن فهم الحياة والتعاطي معها لا بد أن يكون أساسه هذه النظرة بالذات، ومستنداً إلى فهم الحمد بهذه الطريقة، فكلمة الحمد إذن كبيرة جداً بحجم هذا الكون، بل هي أكبر من الكون ومن الإنسان، إنها بحجم الفيوضات الإلهية على كل الموجودات والمخلوقات، ولا سيما الذي يعنيك منها، وتستفيد منه، وتتفاعل معه، إنها بحجم العقيدة التوحيدية، بل بحجم كل الصفات الإلهية الجلالية منها أو الجمالية.

إذن فليس من قبيل الصدفة أن تكون أول كلمة - بعد البسملة - في السبع المثاني، التي لا بد أن تقرأ مرات في الصلاة في كل يوم هي كلمة (الحمد)؛ إنه أراد لنا أن ندخل من باب الحمد، إلى كل الحقيقة المنبسطة على هذا الوجود، مدركين حجم الارتباط بالله، ونوع، وكيفية التعاطي معه سبحانه وتعالى.

له الحمد في الأولى والآخرة:

ومن أجل توضيح بعض ما ذكرناه آنفاً نعود، فنقول:

قد تكلم الله سبحانه عن الحمد في عدة آيات قرآنية، منها قوله تعالى: ﴿**لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ**﴾[1]، فما هو المقصود بالأولى، وما هو المقصود بالآخرة؟!.

وهل هذا ينسجم مع ما ذكرناه من معنى الحمد؟! وارتباطه بآية البسملة؟! وكيف نربط أيضاً بين ذلك وبين قوله: ﴿**وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[2]؟! وهل صحيح ما يقولونه: من أن الحمد لا بد أن يكون على فعل اختياري؟!.

إننا في مقام الإجابة على هذه الأسئلة نقول: إن صفات الألوهية تقتضي نفي كل نقص عن الذات، وعن الأفعال، والمدخل

---

(١) سورة القصص: آية ٧٠.

(٢) سورة يونس: آية ١٠.

لنا إلى هذه الصفات هو الرحمة الإلهية، والحمد إنما يأتي كنتيجة للاستفادة من هذه الصفات، فنستفيد منها في الخلق ﴿**الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً**﴾(١).

وفي الهداية: ﴿**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا**﴾(٢).

وفي التفضيل: ﴿**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي فَضَّلَنَا**﴾ (٣).

وفي العلم ﴿**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ**﴾(٤).

وفي النجاة ﴿**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي نَجَّانَا**﴾(٥).

وفي العافية ﴿**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ**﴾(٦).

وفي الملك ﴿**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**﴾(٧).

بل وقبل كل شيء في التوحيد ونفي الشريك ﴿**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي**

---

(١) سورة فاطر: آية١.

(٢) سورة الأعراف: آية٤٣ .

(٣) سورة النمل: آية١٥ .

(٤) سورة الكهف: آية١ .

(٥) سورة المؤمنون: آية٢٨ .

(٦) سورة فاطر: آية٣٤.

(٧) سورة الإنعام: آية١.

﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ (١).

فالحمد في الآية الأخيرة ليس على أمر اختياري لأن عدم الشريك ليس فعلاً له تعالى، فتخصيص الحمد بالفعل الاختياري يصبح غير دقيق.

ومن جهة أخرى، فإن الحمد بعد كل هذا يصبح بمثابة الدليل القاطع على تحقق ذلك كله من موقع الفيض الإلهي، وهو أيضاً تتويج لكل مسيرة التكامل الإنساني الكادح إلى الله سبحانه. فالحمد هو البداية، التي تفتتح بالفيوضات الإلهية لأصل الخلق والوجود، وكل النعم في الحياة الأولى التي هي الدنيا. وتستمر هذه الألطاف والفيوضات إلى الآخرة أيضاً، التي هي الحياة الحقيقية. كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٢).

فيَصِل الإنسان إلى الله ويعرفه، من خلال إحساسه بنعمه وتفضلاته عليه وفيوضاته المتلاحقة والغامرة، فيبحث عنه، ويعرفه ليقف موقف العرفان، لأن معرفته تعالى عن طريق الإحساس بالنعمة، تكون أعمق وأدق وأكثر تأثيراً من معرفته عن طريق الاستدلال الفلسفي، العقلي، النظري، لأن هذه المعرفة حسية، ثم تترقى لتصبح وجدانية، ثم فطرية، يتفاعل معها بأعماقه، وبكل

(١) سورة الإسراء: آية١١١ .

(٢) سورة العنكبوت: آية٦٤ .

أحاسيسه ومشاعره وبفطرته، ثم هو يبادر إلى الثناء على هذا المنعم، وبعد ذلك يبادر إلى شكره، والوقوف في موقع الطاعة والانقياد.

وهذا هو معنى وجوب شكر المنعم الذي دل عليه القرآن: ﴿**أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ**﴾[١]، ﴿**اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾[٢].

وتستمر المسيرة في هذا الحمد إلى الحياة الأخرى لتكون: ﴿**آخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ لما شهدوه ويشهدونه من تربية ورعاية إلهية مستمرة ومتلاحقة، وكل ذلك يفسر لنا أيضاً: السبب في كون كلمة الحمد هي أول كلمة بعد البسملة في سورة الحمد، والسبع المثاني، ويتضح مِن ثَمَّ أن الآية منسجمة تمام الانسجام، ولا مجال لأي توهم أو اعتراض.

لماذا لم يقل الحمد لرب العالمين:

وأما لماذا لم يقل: الحمد لرب العالمين، بل قال: الحمد لله رب العالمين، فلعله لأنه يريد منا أن نتعامل معه، وأن نرتبط به سبحانه بما هو مستجمع لصفات الجمال والجلال، صفات الفعل، وصفات الذات، ثم يُتبع ذلك بالتنصيص على صفة المربي لتكون هذه التربية

---

(١) سورة لقمان: آية١٤ .

(٢) سورة سبأ: آية١٣ .

هي المبرر لمبادرتنا إلى حمده بما له من صفات الألوهية الكاملة والمطلقة، وذلك لأنه تعالى إنما تعامل مع هذا الوجود كله من موقع ألوهيته له ولكل المخلوقات، وقد جاءت صفات الفعل، مثل: المربي، والخالق، والرازق، والرؤوف، والرحيم، والقوي، إلخ، لتجسد هذا التعامل.

لماذا الحمد؟!:

ونحن إنما نحمده من موقع العرفان بالفضل، الذي يقتضي الشكر للمنعم، لأن الإنسان حين يريد أن يتعامل مع الله سبحانه لا بد أن يعرفه أولاً، وأعمق درجات المعرفة هي المعرفة الوجدانية، وأعمقها وأشدها تأثيراً هي تلك الناشئة من إحساس الإنسان بالنعمة التي تستلزم معرفة المنعم والمحسن، بدرجة من درجات المعرفة، وهذا هو الشيء الذي يتعاطى معه الإنسان بوجدانية وواقعية أكثر وأعمق، حيث تتناغم المعرفة الحسية في مستواها الداني مع ما هو أرقى وأسمى منها وهي المعرفة الوجدانية والضميرية والفطرية، التي هي أبعد أثراً من المعرفة التصورية الفكرية، التي هي على حد المعادلات الرياضية، أو العقلية الفلسفية، أو حتى الأمور الغيبية الصرف، إذ أن الغيب هذا إنما يدخل إليه الإنسان من خلال الحس الوجداني، من حيث ملامسته ومساسه بوجوده، وبحياته ومستقبله.

لغة القرآن في التربية العقائدية:

ولأجل هذه الحقيقة الآنفة الذكر نلاحظ: أن الله سبحانه في قرآنه الكريم لم يتكلم عن التوحيد، وعن الله، وعن الآخرة، وعن سائر الاعتقادات بمصطلحات فلسفية أو مقتبسة من علم المنطق أو غيره، وإنما دخل إلى الأمور الاعتقادية من باب لغة الحياة، حيث ربطها بصورة مباشرة بالشأن الحياتي العملي المتجسد والملموس، لتستقر هذه الاعتقادات في القلب من خلال الإحساس، والشعور المباشر والعميق، ولتتخذ موقعها القيادي والمحرك في هذا القلب، فمثلاً، تحدث الله عن التوحيد وربطه بالليل، من موقع كونه سكناً لهم، ثم ربطه بالنهار، من موقع كونه مناسباً للابتغاء من فضل الله سبحانه، ثم ربط كلا الأمرين بالرحمة الغامرة، التي تعمل على توفير الأجواء الحياتية الملائمة للسعي نحو التكامل باستمرار، قال تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ * وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[1].

فالله سبحانه قد تحدث إذن عن التوحيد بما له مساس بواقع

(١) سورة القصص: آية٧١ و٧٢ و٧٣ .

الإنسان الذي يعيشه ويحس به، ويتفاعل معه بمشاعره وأحاسيسه لا بطريقة تجريدية ونظرية أو بصورة طرح معادلات فكرية جافة.

وفي سورة الحمد يريد تعالى أن يطرح قضية التوحيد من موقع التعريف بصفاته تعالى، والإحساس المباشر بآثار تلك الصفات، ثم سوق هذا الإنسان للإحساس بمدى تأثيره تعالى في كل جهات الحياة، وفي جميع مفرداتها، وفي كل الموجودات في هذا الكون الرحيب، مع الحرص الأكيد على أن يخرجه عن أن يبقى مجرد أمر تصوري، تجريدي ونظري؛ ليصبح شأناً حياتياً حياً مؤثراً، يفهمه الإنسان، ويتلمسه بوجدانه، ويتحسسه بمشاعره، من خلال إحساسه بالنعمة الغامرة، وبالعطاء، وبآثار الرحمة، والعلم، والغفران، والحكمة الإلهية، وغير ذلك من صفاته تعالى، التي يتلمس الإنسان آثارها في كل آن على مدار اللحظات، فضلاً عن الساعات، في نفسه، وفي كل ما يحيط به، وفي كل الموجودات.

التسبيح بحمد الله تعالى:

وفي سياق آخر نقول: إننا نجد الله سبحانه يقول: ﴿**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ**﴾[1]، ونحن مأمورون بأن نقول في صلواتنا في كل ركوع: سبحان ربي العظيم وبحمده، وفي كل سجود: سبحان ربي

---

(١) سورة النصر: آية٣، وسورة الحجر: آية٩٨.

الأعلى وبحمده. وقد اعتبر الشارع هذه الصيغة: تسبيحة كبيرة. فإذا أردنا أن نتجاوزها، فلا يعوض عنها إلا ثلاث تسبيحات: سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله، واعتبر كلمة سبحان الله تسبيحة صغيرة بالنسبة لتلك التسبيحة الكبيرة.

وهنا العديد من الأسئلة:

ما معنى هذا التسبيح؟!

وما هو الرابط بين التسبيح والحمد؟!

ولماذا كانت تلك تسبيحة كبيرة، والأخرى صغيرة؟!

ولماذا لا يقوم إلا ثلاث تسبيحات صغار مقام تلك الكبيرة فلا يكفي تسبيحتان مثلاً؟ !

ونقول في الجواب:

التسبيح هو تنـزيه الله تعالى عن كل شائبة: سواء أكانت من الأفعال الاختيارية: كتنـزيهه عن البخل، وعن الظلم، وعن القسوة، أو كانت غير اختيارية كتنـزيهه عن الضعف، والحاجة، والغفلة، والنسيان، وغير ذلك من أمور تعود إلى الذات، وكتنـزيهه عن أمور خارجة عن ذاته سبحانه، مثل الشريك، والولد، والصاحبة، وما إلى ذلك، وتقدم أن الرحمة هي المدخل إلى الاستفادة من الفيوضات التي تقتضيها كل صفات الذات الإلهية، ليسعد هذا الإنسان بإنسانيته،

وسيره التكاملي نحو الله تعالى، وبسبب شمولية هذه الفيوضات واستيعابها لكل الحياة وللكون بأسره، فقد استحق الله دون غيره حقيقة الحمد، إن كانت (أل) هي الجنسية، أو جميع أفراد الحمد، إن كانت (أل) للاستغراق.

وسوف نرى: أنه تعالى إذا كان يحمد من حيث ربوبيته الملازمة للرعاية والتربية، فمعنى ذلك هو شمولية الحمد واستغراقه، وذلك لأن شمولية آثار الصفات سوف تتسع لتستوعب كل ما له تأثير في هذه الرعاية؛ فالحكمة، والعطف، والعلم الدقيق بخصائص الكون والإنسان، وبما يصلح وبما يفسد، والرحمة، والغنى، والكرم، والقدرة، والقيومية الدائمة، ووالخ، كل ذلك دخيل في هذه الرعاية والتربية، ومؤثر فيها، فالفيض الإلهي لكل ما تقتضيه التربية لهذا الإنسان، والشعور بهذا الفيض يستدعي الحمد، والثناء، ثم الشكر، لهذا المنعم، والتزام كل ما يرضيه.

ومن الواضح: أننا حين نريد تنـزيهه تعالى: نقول: (سبحان الله)، أي: أنزه الله وأبعده عن كل شائبة، فقد يقال: هذا مجرد كلام ليس له ما يثبته، فإذا سبَّحت الله بواسطة الحمد، ونسبت التسبيح لك شخصياً، وقررت أن هذا التسبيح والتنـزيه إنما هو لله بعنوان كونه رباً، أي: راعياً ومربياً، فإن الأمر يصبح مختلفاً تماماً عن قولك: سبحان الله فقط، ويكون هذا هو الإثبات المطلوب، وذلك لأن

الحمد يكشف عن: أن الله سبحانه قد اتصف بصفة حُسْنٍ ثابتة فيه استحق الحمد لأجلها، ككونه ليس له شريك، ولا ولد ولا صاحبة، ولا مكان، لا ينسى، ولا يسهو، ولأنه عالم حي قيوم قادر غني، إلخ، كما أنه يعني أنه تعالى قد صدرت عنه أفعال اختيارية استحق لأجلها الثناء والحمد، هي كل ما في هذا الكون من نعم نستفيد منها مباشرة أو بالواسطة[١] كالخلق، والرزق، والرحمة، والرأفة، والشفاء، والقيومية، إلخ، فانتزعنا من هذه الأفعال الاختيارية صفات جمال وأضفناها إلى ذاته المقدسة: كالخالق والشافي والعالم، والقادر إلخ، فالحمد إذن ينتهي إليه، قال تعالى: ﴿**لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[٢].

فإذا سبحت الله بالحمد فإنك لم تنفِ النقص بالقول وحسب، بل جئت بما يدل على انتفاء ذلك النقص عملياً، لأن حمدك هذا يدل على صدور فعل اختياري عنه تعالى قد تجسد في الخارج، بل إن ذلك يدل على أزيد من نفي النقص، وأزيد من الكمال.

وتوضيح ذلك: أنه قد يكون شخص مستجمعاً لكل الصفات البشرية كالعينين والأذنين واليدين والرجلين والعقل إلخ،

---

(١) حتى في مثل الطبيب الذي يشفيك بقدرة الله، والكريم والهادي الذي يعطيك ويهديك مما أنعم الله به عليه، وبهداية الله وتوفيقه، وإذنه وإرادته.

(٢) سورة القصص: آية ٧٠ .

فهو إذن كامل لا نقص فيه، وقد يكون شخص فيه مما يزيد على هذا الكمال، ككونه جميل الصورة، أو أنه عالم، أو قوي، أو كريم، أو نحو ذلك، والأمر بالنسبة للذات الإلهية من هذا القبيل، فإن نفي النقص يستبطن إثبات الكمال، وهذا مرتبة أولى، ثم يكون إثبات صفات زائدة على الكمال مرتبة ثانية، فإذا حمدته تعالى فإنك تكون أثبتَّ له الكمال بنـزاهته عن النقص بالدليل، وتكون أيضاً قد أثبتَّ صفة إضافية بالدليل أيضاً، من حيث أن حمدك يستبطن تأثير تلك الصفة وتجسد أثرها على صفحة الواقع، فإذا أثبتَّ الربوبية فقد جئت بدليل آخر يفيد انبساط تلك الآثار على كل وجود، وكل ما في هذا الكون الفسيح، مما يعني تنوع تلك الصفات التي أثرت هذه الآثار المتنوعة والمستوعبة لكل جهات وجودك.

ثم نسبتَ المربوبية إلى نفسك كفرد: (ربي)، لتؤكد على أن هذا التنـزيه والحمد هو منك على الحقيقة، لأن التربية كانت تتوخّى شخصك مباشرة، وليست أمراً بعيداً عنك قد استهدف الحياة في مجالها العام.

وخلاصة الأمر: إن التسبيح بالحمد يكون تنـزيهاً مستدلاً عليه بالدليل الحسي، لأن الحمد يدل التزاماً على أن صفات الله سبحانه قد تجسدت بآثارها، وأصبحت واقعاً حياً، وفعلاً اختيارياً يستحق الحمد والثناء، فالدليل على نزاهة الله من النقص هو هذا

الكمال المتجسد، وهو الرازقية والخالقية والشفاء والعطاء والرأفة الفعلية، فلم يعد الكمال مجرد دعوى وإنشاء كلامي.

وقد تكرر التسبيح بالحمد في كثير من الآيات: مثل قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾[1]، ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[2]، وغير ذلك، وذلك كله يفسر لنا سرّ ترديدنا في صلاتنا: سبحان ربي العظيم وبحمده.

شمولية كلمة: (رب).

وأخيراً، فإن ﴿رَبِّ﴾: كلمة تستبطن جميع أسماء الفعل للذات الإلهية المقدسة، لأن ربوبيته تعالى من موقع تدبيره، وهو يقتضي أن يكون حكيماً، عليماً، قادراً، خالقاً، شافياً، إلخ،

﴿الْعَالَمِينَ﴾:

العالَمون: جمع لا واحد له من لفظه وليس جمع (عالَم)، كما زعم بعضهم، بدليل: أنهم قالوا: إن جمع المذكر السالم هو ما كان جمعاً لمذكر عاقل، والعالَم ليس مذكراً ولا عاقلاً، فليس العالَمون جمعاً له، وإن كان قد جاء على صورة الجمع فألحقوه به في الإعراب إلحاقاً، قال ابن مالك في ألفيته، عن جمع المذكر السالم وإلحاق بعض الألفاظ

---

(١) سورة النصر: آية٣ .

(٢) سورة الإسراء: آية٤٤ .

به:

وارفع بواوٍ وبيا اجرر وانصب سالم جمع عامرٍ ومذنبِ
وشبه ذين وبه عشرونا وبابه ألحق والأهلونا
أولوا وعالمون عِلِّيونا وأَرَضون شذَّ والسنونا

أضف إلى ما تقدم: أن كلمة (عالَم) يراد بها كل هذا الوجود بما فيه، فإذا أردت أن تجمعها، فلا بد من تقسيمها إلى أشياء صغيرة، كعالَم النبات، وعالَم الجماد، وعالَم الحيوانات، ثم تجمع هذه الأشياء، ومع ذلك فإن الجمع لن يتجاوز مفرده في شموليته، لأن المفرد يشمل كل شيء في الوجود، والجمع - والحالة هذه - قد لا يشمل كل شيء، فيكون الجمع أخص من المفرد أحياناً، أو مساوياً له على أبعد تقدير، وكلاهما لا يصح.

ما المقصود بالعالَمين؟:

وهنا سؤال؛ وهو:

هل المقصود بالعالَمين هو كل الموجودات والمخلوقات؟ أم المقصود نوع خاص منها؟ وهل تشمل الجن والملائكة، بل وحتى سائر الموجودات الأخرى، على فرض أن لها درجة من الشعور والإدراك؟ أم لا تشمل شيئاً من ذلك؟ ونقول: هنا جوابان، الأول منهما يصلح مقدمة للجواب الثاني، وهما:

أولاً: التربية للعالَمين:

إن المقصود بالعالَمين معنى يتناسب مع أمر التربية، والانتقال من حالة النقص إلى حالة الكمال، إذ لا يمكن تربية ما يفقد القابلية للتحول والرقي والانتقال، وقد دلت الآيات على أن الجمادات، بل جميع الموجودات أيضاً، لها درجة من الشعور، والإدراك، بحيث تستطيع تسبيح الله؛ قال تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾[١]، وقال: ﴿**يُسَبِّحُ لله مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ**﴾[٢]، ولم يقل: يسبح من. فإن (ما) تستعمل لغير العاقل، وكلمة (من) للعاقل، وقال تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً**﴾[٣]، وثمة آيات عن سجود الموجودات، وهي كثيرة[٤]، وثمة آيات تحدثت عن دور عاقل للنملة، وللهدهد، وتجلي الله للجبل، فجعله دكاً، وخشوع الجبل وتصدعه من خشية الله وغير ذلك، وقد نلمح في القرآن أن جميع الكائنات قابلة للتربية وللتكامل، حيث أشار القرآن الكريم في

---

(١) سورة الإسراء: آية٤٤ .

(٢) سورة التغابن: آية١ .

(٣) سورة الأحزاب: آية٧٢.

(٤) سورة النحل: آية ٤٩، وسورة الرحمن: آية٦ .

آيات كثيرة إلى ربوبية ورعاية الله تعالى للجمادات أيضاً، قال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾[١] ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾[٢] ﴿وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[٣]، وغير ذلك من آيات كثيرة قررت هذه الربوبية.

إلا أن يقال: إن ربوبية كل شيء وتكامله إنما هو بحسبه، ومن خلال ما يملك من معطيات، أو يقال: المراد بالرب هنا الإله، ونقول: إن هذا الاحتمال الأخير يحتاج إلى ما يثبته، ونشير هنا إلى أمرين:

الأول: سجود المخلوقات وتسبيحها ليس تكوينياً، وقد حاول البعض أن يقول: إن هذا التسبيح إنما هو من حيث أن وجودها وعجيب خلقتها فيه تنـزيه لله سبحانه عن كل نقص، وعن الشريك وغير ذلك، فهي تسبحه تعالى بلسان التكوين، وتسجد له بمعنى تخضع له تكويناً أيضاً، وعرض الأمانة إنما هو تصوير رمزي لعدم قدرة هذه الموجودات تكويناً أيضاً.

ونقول: إن هذا التوجيه غير صحيح، فإن قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، يدفعه وينافيه، إذ أن هذا التفسير معناه: أننا

(١) سورة ص: آية٦٦. وسورة الصافات: آية٥ .

(٢) سورة المزمل: آية٩ .

(٣) سورة المؤمنون: آية٨٦ .

نفقه تسبيحهم؟! وكون السجود بمعنى الخضوع التكويني فقط، ينافيه قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنْ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**﴾[1].

فقوله: ﴿**وَكَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ**﴾ دليل على أن المراد بالسجود ليس هو الخضوع والانقياد التكويني، فإن الناس جميعهم يخضعون تكويناً له تعالى، وآية الأمانة أيضاً لا يصح تفسيرها بما ذكر، لأنه تعالى يقول: ﴿**وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا**﴾ والإشفاق، إنما هو انفعال نفساني خاص، وليس خضوعاً تكوينياً.

إذن فنحن أمام حقيقة قرآنية هي: إن جميع المخلوقات لها درجة من الشعور والإدراك، بحيث تُسبِّح الله، وتسجد له، وتشفق من بعض الأمور، وتقبل وترد بالاختيار والإرادة، ولكن كيف يتم ذلك!! هذا ما لا نعلمه، وقد لا يتسنى لنا العلم به وبحقيقته وكنهه، ومستوياته.

الثاني: تكامل الإدراك والشعور ومستواه:

ويبقى أمامنا سؤالان: **الأول**: عن مستوى ودرجة شعور

---

(١) سورة الحج: آية١٨.

وإدراك الموجودات، من الجماد والنبات، وغيرهما.

الثاني: هل هذا الإدراك والشعور فيه قابلية النمو والتحول؟ أم أنه مقفل ومحدود في هذه الناحية؟

والجواب على كلا السؤالين هو: أننا لا نملك الكثير من المعطيات التي تجعلنا قادرين على إعطاء إجابة قاطعة في هذا المجال، بل إن أكثر ما نعرفه في هذا المجال، هو نفس ما حدثنا عنه القرآن الكريم، ونبي الإسلام العظيم، ولأجل ذلك فنحن لا نتشجع كثيراً للبحث في هذا الأمر، لأننا غير قادرين على إغنائه بالشواهد والدلائل التي نتجاوز من خلالها حدود المعارف التي رآنا الله أهلاً لأن يخاطبنا بها في آياته الكريمة، وعلى لسان نبيه العظيم، ولم يذكر لنا أكثر من كونها لها درجة من الشعور، وأنه تعالى رب لكل شيء، أما كيف؟ وإلى أي مستوى؟ وأي حد؟ فذلك ما لم يفصح لنا عنه القرآن الكريم.

ثانياً: العالَمون خاص بالبشر:

إننا إذا تتبعنا الآيات القرآنية نجد: أن كلمة العالمين تستعمل غالباً في خصوص البشر العقلاء، كقوله تعالى: ﴿**وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**﴾[1]،

---

(١) سورة آل عمران: آية ٤٢.

﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[١]، ﴿صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾[٢]، ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٣]، ﴿وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعالَمِينَ﴾[٤]، ﴿ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾[٥]، ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنْ الْعَالَمِينَ﴾[٦]، ﴿آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[٧]، ﴿مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنْ الْعَالَمِينَ﴾[٨]، ﴿لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنْ الْعَالَمِينَ﴾[٩]، وموارد كثيرة أخرى ظاهرة في أن المقصود بالعالَمين هم البشر، لقرائن فيها، مثل كونها مجتمعات فيها نساء، أو ظلم، أو تعذيب، أو ذكر، أو نحو ذلك.

---

(١) سورة البقرة: آية٤٧.

(٢) سورة العنكبوت: آية١٠.

(٣) سورة آل عمران: آية٣٣.

(٤) سورة آل عمران: آية١٠٨.

(٥) سورة الأنعام: آية٩٠.

(٦) سورة الحجر: آية٧٠.

(٧) سورة الأنبياء: آية٩١.

(٨) سورة المائدة: آية٢٠.

(٩) سورة المائدة: آية١١٥.

استدلال لا يصح:

أما قوله تعالى؛ حكاية لقول فرعون وموسى عليه السلام ﴿**قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا**﴾[1]، وكذا قوله تعالى: ﴿**فَلِلهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[2]، فقد تخيّل بعضهم: أن المقصود بالعالمين في هذه الآية هو ما يشمل السماء والأرض، فتكون لغير العاقل، ولعله لأنه رأى أنها بدل مما قبلها، وقد أكد هذا الأمر فرعون باستعماله كلمة (ما) التي تستعمل بالأصل في غير العاقل.

ونقول: إنه تخيّل باطل، فأما بالنسبة لكلام فرعون، فهو يريد أن يوهّن ويحقّر مقام الربوبية الذي يتحدّث عنه موسى، ويُظهر للناس أنه رب غير عاقل، ولا يصلح لأجل ذلك للربوبية، ليثبت للناس: أنه هو ربهم الأعلى.

وأما كون كلمة: ﴿**رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ بدلاً مما قبلها، فذلك لا يضر، ما دام أنه يمكن أن يكون موسى عليه السلام قد أراد التعبير عن هذا الرب بذكر ميزات عديدة له ليدفع أي لبس أو اشتباه، فذكر ربوبيته للسماء والأرض، وللعقلاء أيضاً (**وهم العالمون**) فليست الآية بصدد إجمال ما تقدم بجميع خصوصياته.

(١) سورة الشعراء: آية٢٣ .

(٢) سورة الجاثية: آية٣٦ .

ربي أم رب العالمين:

وأما لماذا لم يقل: الحمد لله ربي، أو ربنا. بل قال: رب العالمين، فلأنه تعالى يريد منا: أن نحيا حياة اجتماعية ويعين بعضنا بعضاً في مسيرتنا نحو الكمال، إذ لا يكفي التكامل الفردي والشخصي، فيكون الناس أفراداً، يحيون حياتهم الخاصة منفصلين تمام الانفصال بعضهم عن بعض، فالله يتعامل معنا من موقع المربي للعالمين جميعاً، وعلينا أن نتعامل معه من موقع الاستجابة لهذه التربية وبمرونة اجتماعية عامة، وإن كانت محدودة وفق ما يتوافر من إمكانات وطاقات، لا من موقع فرديتنا، ولأجل ذلك نجده تعالى يركز على هذه الناحية، فهو ﴿**رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ**﴾[١] وهو ﴿**رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾[٢] و﴿**هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ**﴾[٣].

الألوهية والربوبية معاً:

وحين يستقر في وعي الإنسان: أن ثمة خالقاً مدبراً لهذا الكون فإنه يدرك: أن هذا الخالق قوي، وغني وعظيم، وقهار وما إلى ذلك من صفات ألوهية، تعني مزيداً من الإحساس بالبون الشاسع، فيما بين هذا الإنسان الضعيف، العاجز، المحتاج، إلخ،

(١) سورة الشعراء: آية٢٦. والصافات: آية١٢٦ .

(٢) الآيات القرآنية المتضمنة لهذه العبارة كثيرة جداً .

(٣) سورة الأنعام: آية١٦٤ .

وبين ذلك الإله الخالق العظيم، وقد يتحول هذا الإحساس بالبون (بصورة لا شعورية) إلى إحساس بالبعد عنه، وبانقطاع العلاقات والروابط معه أياً كانت[1]، ولأجل ذلك نلمح مزيداً من الإصرار في الآيات القرآنية على تجسيد العلاقة بين الله وبين العباد، كواقع حي، يتلمسه هذا الإنسان بأحاسيسه الظاهرة قبل الباطنة. في كل حين، وفي كل مجال، كما أن ثمة تركيزاً واضحاً على تكوين شعور قوي وعميق بربوبيته سبحانه لهذا الإنسان، ورفقه به، ورعايته له من موقع المحبة، والرعاية والتدبير لكل شؤونه على أساس الحكمة والإشراف والهيمنة.

فالله أوجدك، ولا يزال يرعاك، ويهتم بك، ويدبر شؤونك، وأنت لا تزال بحاجة إليه، وتتعامل معه من موقع حاجتك وغناه، وضعفك وقوته، فهو يعينك شخصياً في كل آن، وفي كل مكان.

---

(١) وقد تجلت سلبيات هذا الشعور حين تحول إلى انحراف فكري خطير جداً حين قالت بعض الفرق: إن الله قد كتب ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، ولم يعد قادراً على أي عمل، ولا يستطيع التدخل لتغيير أي شيء بل هو محكوم بقدره مغلول اليد، كما قالت اليهود: (يد الله مغلولة، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا)، فهو تعالى قد أوجد الخلق وانتهى دوره، وبطل تأثيره، فلم تعد النظرة إليه من المخلوقين - على أساس هذه النظرة المنحرفة - من موقع الحاجة، ولم يعد لصفاته تأثير، فتعطلت وانتهت وبطل مفعولها، ولم يعد الكريم، والرحيم، والعطوف، ووالخ.

إنه هو الذي يحميك، وهو الذي يحضنك، ويرشدك، ويهديك، وهو الذي يرزقك، ويشفيك وهو الذي يرعاك ويربيك، ومن باب ربوبيته لك تنفتح على كثير من صفات الجمال فيه، فهو الراحم والعطوف، والحكيم، والحنان، والمنان، وهذا كله سيجعلك تتعامل معه بروح الود والمحبة، والحميمية والصفاء، والامتنان والوفاء.

نتائج ثلاثة:

ونستنتج من ذلك الأمور التالية:

إن التعامل الصحيح مع الله ليس على أنه موجد وحسب، بل على أساس أنه موجد، ومرب، لا يزال يرعى، ويحفظ، ولسوف نبقى بحاجة إلي ذلك، إن إحساسنا بالحاجة إليه وإلى رعايته وتربيته لنا يتطلب منا أن نؤهل أنفسنا لهذه التربية، ونستعد لها، ونتجاوب معها. فلا نشعر بالامتلاء والشبع، وعدم الحاجة إلى المزيد من الكمال والسمو. لأن شعوراً كهذا معناه منع تلك الرعاية، والهداية الإلهية من التأثير، وبالتالي الإحتجاب عن الفيوضات الإلهية الضرورية لذلك، بما إن الإنسان يحب نفسه، ويحب الكمال لها، فهو يحب الجهة التي تساعدها وترعاها، وتسعى لرفع نقائصها لتنال ذلك الكمال المنشود فإذا عرف وشعر - عملياً - أن الله سبحانه هو الذي يتولى ذلك من موقع المعرفة، والحكمة، والرحيمية، والقدرة، فلسوف

يتجه إليه سبحانه، ويرتبط به، على أساس الاعتراف بالنقص، وبالحاجة، والعرفان بالفضل، ثم هو يتعامل معه من خلال صفات الألوهية والربوبية التي يجد فيها ما يغنيه.

تفسير قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ﴾: مرة أخرى:

وقد اتضح مما تقدم: أن قوله: ﴿الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ﴾، بعد قوله: الحمد لله رب العالمين. قد جاء في موقعه الطبيعي، فإنه تعالى إنما يرعى الإنسان ويربيه بصورة متوازنة، لا يهمل جهة فيه على حساب أخرى، فيرزقه حيث يحتاج إلى الرزق، ويشفيه حيث يحتاج إلى الشفاء، ويعمل قدرته في موضع القدرة ورحمته في موضع الرحمة والعلم والحكمة، ووإلخ، كل في موقعه، وهذه هي أفضل رعاية، وأمثل تربية، يصل الإنسان من باب الرحمة إلى الربوبية، ومن الربوبية إلى صفات الألوهية.

وإنما دخلنا إلى الربوبية من باب الرحمة، لأن الرحمة - كما قلنا سابقاً - إنما هي نتيجة ملاحظة نقص أو ضعف، أو عجز لدى الآخرين، يدفع إلى التحرك باتجاه رفع هذا النقص، أو العجز أو الضعف، وهذا بالذات هو مورد التربية، التي هي الانتقال التدريجي

لنا من حالة نقص أو ضعف أو عجز إلى حالة كمال وقوة أعلى منها وأتم، ويكون ذلك بدافع من رحمة وعطف نشأ عن مشاهدة ذلك الضعف والعجز، فيصبح قوله تعالى: الرحمن الرحيم، نتيجة طبيعية لقوله: رب العالمين، أليست المرأة تهتم (عادة) بتربية طفلها، وتلبية حاجاته، والحفاظ عليه، وتتحمل الأذى الكثير والكبير في سبيل ذلك؟!

إن ذلك ليس نتيجة شعورها بالواجب الشرعي أو القانوني الملح، بل لأنها تلاحظ عجزه عن الأكل والشرب، وعن الحركة، وعن دفع الحر والبرد وسائر الأخطار عن نفسه، فتندفع بدافع من الشعور بالرحمة والعطف لرفع هذا النقص فتحميه وترعاه وتسهر عليه، إذن، فمجرد الشعور بالنقص لدى الآخرين لا يكفي للتحريك باتجاه رفعه، إذ قد يلتذ البعض برؤية آلام الآخرين، بل لا بد من الانفعال الإيجابي تجاهه، وهو ما نسميه بالرحمة.

النقص حقيقي وأساسي:

فتشير كلمة ﴿**الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ**﴾، إلى أن هذا النقص ليس بعد تحقق أصل الكمال، ليكون نقصاً لما هو زائد عن حد الكمال، كان ينبغي أن يضاف إليه، وإنما هو حاجة وضعف ونقص عن حد الكمال نفسه، وإلا، فلو كان الكمال حاصلاً، والنقص والضعف

إنما هو في عدم نيل الزائد عنه فلا يبقى هذا المورد مصداقاً ومحلاً للرحمانية الشاملة، ولا للرحيمية الثابتة والراسخة والدائمة.

ثبات واستمرار الرحمة:

ولا بد من هذا الدوام والاستمرار للرحيمية بالنسبة لهذا الإنسان، لأن كل شيء إذا وصل إلى درجة كماله؛ فإنه قد يبقى ثابتاً عليها، إلا الإنسان، فإنه دائماً في معرض النقص بسبب أنه يملك غرائز وشهوات وطموحات قد تُزل قدمه، وتجره إلى المخاطر بل المهالك، فهو بحاجة إلى استمرار هذه الرعاية، ودوام إفاضة الألطاف عليه، حتى وهو في أقصى حالات كماله.

دوافع التربية والرعاية:

ثم إن هناك رعاية وتربية من موقع الأنانية الشخصية للمربي، حيث يرى أن ثمة نقصاً يعود إليه، وذلك مثل تربية الأولاد، فإنها قد تكون أحياناً بسبب أنانيتنا المهيمنة على مشاعرنا، ولكن رعاية الله سبحانه لنا، هي محض التفضل، ومحض الرحمة، ومحض الخير.

فاتضح من جميع ما تقدم أن ﴿**الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ**﴾، كانت هنا هي النهاية، كما كانت ﴿**الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ**﴾، هي البداية في آية ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾، وما أحوجنا لهذا الأمر، وما أشد غفلتنا عنه.

تفسير قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

المعاد مشكلة حقيقية للمشركين:

وقوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قد أشار إلى أصل مهم جداً من أصول الدين، وهو المعاد، والقيامة، حيث الحساب والجزاء، والثواب والعقاب، وهذا هو الأصل الأكثر حساسية، والذي كان يثير حفيظة المشركين، ويحرجهم، ويخرجهم عن أدنى حالات التوازن، فلماذا هذه الحساسية المتناهية منهم تجاه هذا الأصل يا ترى؟! للإجابة على هذا السؤال نقول:

إن المشركين وإن كانوا يتمسكون بعبادة الأصنام، إلا أنهم ما كانوا حريصين على عبادتها وعلى رفض التوحيد إلى درجة أن يضحوا في سبيلها بالمال والرجال، والأهل والولد، وبكل شيء، ولم يكن الاعتقاد بالله عز وجل وبأنه خالق رازق، رحيم، عزيز إلخ، بالأمر البعيد عن أذهانهم، وقد أشار تعالى إلى ذلك، فقال: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[1]، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا

(١) سورة العنكبوت: آية٦١، وراجع: سورة لقمان: آية٢٥، وسورة الزمر: آية٣٨، وسورة الزخرف: آية٩ و٨٧.

بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[1]، بل إن عبادتهم الأصنام لم تكن تعني لديهم رفض عبادة الله، بل كانوا يرون أن عبادتها توصل إليه تعالى، قال سبحانه: **﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾**[2].

نعم، هم كانوا يرون أن للأصنام نوعاً من التأثير في أوضاعهم، فهي تؤثر في سعة رزقهم، وشفاء مرضاهم، وفي دفع أعدائهم، وفي حل مشاكلهم، فلو أنهم عدلوا عنها إلى الاعتقاد بأن الله سبحانه هو الذي يتولى هذه الأمور وغيرها لهم، فهو الذي يرزقهم ويشفيهم، ويدفع أعداءهم ويحل مشاكلهم، فإنهم سوف لن يرفضوا ذلك ولن يقاوموه بهذه الشراسة، كما أن اعتقادهم بنبوة النبي لم يكن يمثل لهم مشكلة كبيرة أيضاً، وما اسهل عليهم أن يعتقدوا أن محمداً يُكلَّم من السماء لو كان الأمر يقتصر على ذلك، بل لقد عرضوا على النبي صلى الله عليه وآله أن يملكوه عليهم، ويعطوه الأموال، ويزوجوه من شاء، فالقضية إذن بالنسبة إليهم ليست قضية الجاه والمقام النبوي للنبي صلى الله عليه وآله، وحسب، ولكن المشكلة كل المشكلة، والكارثة الحقيقية بالنسبة إليهم، وعلة العلل في رفضهم الانقياد للنبي صلى الله عليه وآله هي الاعتقاد بالمعاد، وبيوم الدين، والجزاء والحساب، والثواب والعقاب، وهي

---

(١) سورة العنكبوت: آية٦٣ .

(٢) سورة الزمر: آية٣ .

المشكلة التي تحدث عنها الله هنا بقوله ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

ولا يقتصر ذلك على المشركين بل يشاركهم اليهود في هذا الأمر أيضاً، فإن حاكمية الله ليوم الدين هو الموضوع الأكثر حساسية، والأكثر إثارة لهذين الفريقين من الناس، لأنه هو الموضوع الأكثر حيوية، وملامسة لحياة الإنسان، بكل تفاصيلها حتى أخص الخاص منها، لأن الاعتقاد بالحساب وبالدينونة يقتضي منهم أن يرتبوا حياتهم من جديد، بطريقة تؤدي إلى السلامة الحقيقية في يوم الدين، ويخرج القرار من يدهم في كبير الأمور وصغيرها، ويجعلهم ملزمين بامتثال أوامر الله، الذي عرفوا بعضاً من صفات ألوهيته وربوبيته، ككونه حياً قيوماً، عالماً، قادراً، رازقاً إلخ.

إن هذا الاعتقاد يخلق لدى الإنسان شعوراً مختلفاً (لا يخلقه الاعتقاد بالتوحيد، أو بالنبوة، أو بغير ذلك) وهو اعتقاد له آثار عملية، لأنه يجعل الإنسان يشعر بأنه مطالب ومحاسب ومسؤول عن كل ما يصدر منه، وليس حراً في أن يفعل كل ما يحلو له، بل عليه أن يعيد النظر في كل كبيرة وصغيرة في حياته، حتى في أموره الاعتقادية في أدق تفاصيلها، وفي سلوكياته، في صغيرها وكبيرها على حد سواء، وفي مشاعره، وعلاقاته، وارتباطاته العاطفية، وفي كل شأن، وفي كل شيء يمكن أن يطالب به في يوم الحساب.

ومن خلال الاعتقاد بيوم الدين ينفتح هذا الإنسان على الله، وعلى صفاته، خصوصاً: عليم، جبار، منتقم، عزيز، لمن يكون طاغياً مستكبراً، متمرداً وقاسياً. فيتراجع: ليدخل من باب الرحمان الرحيم إلى: التواب الغفور، الودود وينتهي إلى الحمد على تربيته ورعايته له، وينال الشعور بالأمن مع الله، ومع صفة المؤمن، والبر، والسلام.

وإن لم يتراجع هذا الإنسان، فلسوف يعيش حالة الإحباط، واليأس، والخسران أمام صفات المنتقم، الجبار، العزيز إلخ،

فالاعتقاد بيوم الدين هو الأساس، في شعور الإنسان بالمسؤولية عن التغيير في كل حياته، وليدخل في دائرة التعبد والانقياد الحقيقي لله، والانصياع لكل أمر ونهي ونفي أي عبودية لغيره تعالى: من شخص أو مقام، أو مال، أو هوى، أو صنم، أو أي شيء له تأثير بدرجة ما على سلوك ومواقف الإنسان، حيث لا بد أن يكون التأثير لله وحده، والعبودية الخالصة له تعالى دون غيره، ثم يطلب الاستعانة المطلقة به، والهداية منه كما سنوضحه.

ولهذا نجد أنهم حينما ظهر الإسلام في مكة، كانت ثورتهم الحقيقية والعارمة ضد الإيمان بالمعاد والجزاء والقيامة، لأنها تستهدف التغيير الكامل والشامل في كل شيء في حياتهم، ومما زاد في حنقهم أنهم رأوها تجد آذاناً صاغية لدى الكثيرين، فزاد

خوفهم ورعبهم، ولذلك نجد أن القرآن الكريم لم يزل يؤكد على البحث والجزاء والقيامة، ويضرب لهم الأمثال الإقناعية لذلك ولا يزيدهم ذلك إلا إصراراً وجحوداً وعناداً، قال تعالى: ﴿**إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ**﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾(٢)، وقال عز وجل: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى**﴾(٣)، وقال عز شأنه: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ**﴾(٤)، ثم بينّ سبحانه سبب إنكارهم ليوم القيامة، فقال: ﴿**لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ**﴾(٥).

إذن، فهم ينكرون يوم القيامة؛ لأنهم يريدون أن يبرروا

---

(١) سورة المؤمنون:آية٣٧ .

(٢) سورة يس:آية٧٩و ٧٨.

(٣) سورة الأحقاف:آية٣٣ .

(٤) سورة يس:آية١٢ .

(٥) سورة القيامة:آية١ – ٧ .

فجورهم وانحرافهم، وكل تصرفاتهم، وأن يبرروا إصرارهم على مواصلة هذا الفجور في المستقبل، وبعد كل ما تقدم فإننا نعرف سبب شدة اليهود والمشركين في عداوتهم لأهل الإيمان، قال تعالى: ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا**﴾[١]، فإن توراتهم تلك المحرّفة لم تتعرض ليوم القيامة أبداً، نعم قد تحدثت في مورد عن وادي الهلاك. ولذلك نجد أن اليهود عموماً لا يعتقدون بيوم القيامة، والذين يعتقدون به منهم فإنهم ليس لديهم بالأمر الواضح في مغزاه ومرماه وفي تفاصيله، ولذا فإن اليهود يرون أن خسارتهم للدنيا لا يعوضها شيء، فكانت الدنيا كل همهم، وكانوا: ﴿**أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ**﴾[٢]، مهما كانت تافهة وحقيرة.

ثم جاءت تعاليمهم لتزيد من غرورهم، ومن إحساسهم بفرديتهم التي عبّر عنها القرآن بقوله: ﴿**بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى**﴾[٣]، فزاد ذلك من حبهم للدنيا، وزاد من كرههم لأهل الإيمان؛ لأنهم هم الذين تخلوا عن خصوصياتهم الفردية ليذوبوا في المجتمع، وليكونوا قوة حقيقية يخشاها اليهود أشد الخشية، ولذلك عادوها أشد العداء حتى أكثر من عداء المشركين،

---

(١) سورة المائدة: آية٨٢ .

(٢) سورة البقرة: آية٩٦ .

(٣) سورة الحشر: آية١٤ .

ولذلك ذكرهم الله قبل أن يذكر المشركين: اليهود والذين أشركوا.

ويلاحظ أنه لم يقل: اليهود، والمشركون، وذلك ليشير إلى أن الشرك قد جاء على خلاف الفطرة، وقد خرجوا بشركهم عن فطرة الله باختيارهم، أي أنواع المالكيات لله تعالى؟ وأما لماذا قال تعالى: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾. ولم يقل: المحاسب أو المجازي يوم الدين.

فالجواب هو: أننا نجد أن المالكية على أنواع:

المالكية الاعتبارية: وهي التي تنشأ من تصميم العقلاء الذي لهم صلاحية إنشاء اعتبار كهذا، فوجود هذا النوع من المالكية قائم بوجود الاعتبار والقرار. وينشأ عنه إطلاق التصرف للمالك في مورد اعتبار الملكية، وهذه التصرفات يمكن تحديدها بحدود وتقييدها بقيود، كمنع الإسراف، أو الإتلاف، أو التعذيب لذي الروح من دابة أو عبد مملوك، ويمكن سلب الاعتبار عن أنواع بخصوصها، كالميتة، والخمر وغير ذلك.

أما بالنسبة لمورد الاعتبار فهو من حيث القيمة قد يكون غير ذي قيمة بنظر العرف، وليس ملكاً، كحبة تراب في صحراء، حيث لا يملكها أحد، أو كقطرة من ماء البحر.

قد يكون ملكاً ومالاً، ولكنه لا قيمة له، كحبة تراب أو حبة قمح في أرض زيد من الناس، فإنها ملك له، ولكنها لا قيمة لها بنظر

الناس قد يكون له قيمة، وهو ملك، ومال.

ومن جهة أخرى، فإن منشأ القيمة يختلف أيضاً:

حيث إن قيمته قد تكون ناشئة من محض اعتبار العقلاء، لأغراض خارجة عن حقيقته وذاته، كغرض التسهيل في المعاملات أو لغير ذلك، فيعطونه القيمة أو ينـزعونها لأجل ذلك، وذلك مثل الأوراق النقدية، فإن ماليتها وملكيتها متقومان باعتبار من لهم صلاحية إنشاء اعتبار كهذا، وهم الذين يتحكمون في مستوى هذه القيمة، التي قد تعلو في يوم، وقد تنخفض في يوم بصورة كبيرة وخطيرة، وقد تزول بالكلية في يوم آخر، مع أن الورقة النقدية لا تزال هي ذاتها لم تتبدل، ولم تتغيّر.

قد تكون قيمة المورد كامنة في داخل ذاته وحقيقته، بسبب ما له بنفسه من دور حقيقي في حياة الإنسان، وبسبب الحاجة الواقعية إلى الاستفادة من الخصوصية القائمة في ذاته، فليست قيمته إذن ناشئة من مجرد الاعتبار والجعل، وذلك مثل البيت للإنسان، ومثل الغذاء والدواء، واللباس له، فالحاجة الواقعية إليه وخصوصيته الكامنة فيه، والتي يتطلبها الإنسان هي التي أعطته القيمة، ثم اعتبر من له حق الاعتبار والجعل هذا الشيء ذا القيمة ملكاً لهذا الإنسان، وأطلق له التصرف فيه في الحدود والقيود المعقولة، والمقبولة، التي لا توجب

حيفاً على الآخرين، ولا توجب إحداث أي خلل في مسار الحياة، في مختلف جوانبها وحالاتها.

وهذا القسم هو الأهم من الأقسام التي سبقته.

المالكية الطبيعية: هذا النوع من الملكية أعمق، وأقوى من سابقه، بجميع أقسامه، وذلك لما فيه من شدة الاختصاص، وقوة العلاقة، وعمق الحاجة. مع التذكير بأن هذه العلاقة والاختصاص، لا تنشأ من الاعتبار، ولا من الحاجة أيضاً. بل هي حالة واقعية ذاتية يبررها الحاجة إلى الكمال، وإلى فيض الوجود وتطلّب الكمال فيه، وذلك مثل ملكيتك ليدك، ولرجلك، ولعينك، ولغير ذلك من جوارحك، وهذه الملكية قد تخضع لبعض الحدود والقيود، وقد تتوقف وتلغى من الجهة الأقوى، كما سنشير إليه إن شاء الله تعالى.

المالكية الحقيقية: التي تحدثت عنها الآية الشريفة: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾، وهي المالكية الثابتة والراسخة، التي لا ينالها ضعف، ولا وهن، ولا تقبل الانتزاع، ولا الاعتبار ولا التصرف أو التحديد، والتقييد فيها.

وهي المالكية المنبثقة عن ألوهيته تعالى، وربوبيته وخالقيته لكل ما في هذا الوجود، وإحاطته به وهيمنته الحقيقية وسلطته عليه الدائمة والثابتة، وهي ألوهية وربوبية ثابتة، ورعاية دائمة، وفيض

مستمر، يكون به قوام الوجود واستمراره، وهذا ما يفسر عمق هذا المالكية وثباتها ودوامها ورسوخها، ويشير إلى حقيقتها وكنهها.

وهو أيضاً يجعلنا نفهم بعمق حقيقة: أنه تعالى مصدر كل المالكيات الأخرى. فهو يعطيها، وهو يلغيها، متى شاء وكيف شاء. قال تعالى: ﴿لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لله الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾[٢]، وقال جل شأنه: ﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لله﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾[٤].

نعم، إن كل المالكيات الأخرى تزول وتتلاشى، حتى ملكيتنا لِيَدِنا ولسائر جوارحنا، فلا يملك أحد لأحد ضراً ولا نفعاً، ولا يملك أن يدفع عن نفسه، ولا عن غيره بيد، ولا بلسان ولا بموقف، ولا برأي ولا بغير ذلك، ويكون الله سبحانه فقط هو المتصرف والمهيمن، والمحاسب، والمجازي. إلخ،

إن أحداً يوم القيامة لن يكون قادراً على التصرف بماله، ولا بقوته، ولا بمنصبه، ولا بموقعه الاجتماعي، أو السياسي، ولا

(١) سورة غافر: آية١٦ .

(٢) سورة آل عمران: آية٢٦ .

(٣) سورة الانفطار: آية١٩ .

(٤) سورة يونس: آية٣١ .

بلسانه، ولا بيده، ولا بغير ذلك، فلله إذن حق التصرف في كل شيء كيفما شاء وحسبما يريد، ومن هنا يتضح أن كلمة (المجازي) أو (المحاسب يوم الدين) ليست هي الاختيار الأصلح ولا الأنسب في الآية الكريمة.

﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾:

وأما بالنسبة لكلمة **﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾**، فإننا نقول: إنها تشير إلى الجزاء، وإلى الهيمنة الجزائية العادلة، لأنها فرضت وجود دِين وجزاء مقابل عمل، فهي إذن ليست هيمنة عشوائية ظالمة ومعتدية، ومتسلطة بلا مبرر، وهي كذلك توحي بوجود عمل صحيح تارة وعمل فاسد تارة أخرى، لا بد أن يستتبع في كل حالة ما يناسبها؛ وهذا إيحاء بالعدل؛ فلا يريد الله أن يظلم أو يعتدي على أحد، بل يريد أن يجازيك بحسب عملك؛ فأنت السبب في كل ما يجري لك وعليك، إذ كما تدين تدان **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾**(١)، و**﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾**(٢).

إذن فكلمة (الدِّين) تشير ولو بطرف خفي إلى هذا العدل، فهي إذن هنا أنسب من كلمة (القيامة)، أو (يوم الحساب) ونحو هما، لا سيما بعد تلك المسيرة الطويلة عبر النعم والألطاف الإلهية، بدءً من

(١) سورة الزلزال: آية٧و٨ .

(٢) سورة الرحمن: آية٦٠ .

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ﴾، وانتهاءً بصفتي الرحمانية والرحيمية، لأن هذا (الدِّين) قد استبطن العدل من موقع كونه تعالى حكيماً، فإذا دخلت إلى محكمة يوم الدِّين من باب الرحمانية والرحيمية، فإن باستطاعتك أن تجعل نتيجة هذه المحكمة لصالحك، إذا كنت ممن يستحق الرحمة.

مالكية الله سبحانه للدنيا:

وأما لماذا لم يُشِر الله سبحانه هنا إلى مالكيته للدنيا أيضاً؛ فقد تقدم: أنه تعالى بعد أن أشار إلى رعايته وتربيته للعالمين من موقع الربوبية، قد أراد أن ينقل هذا الإنسان إلى يوم الجزاء، حيث يجد نفسه فاقداً لأي لون من ألوان المالكية، ولا يمكنه إلا أن ينقاد لإرادة الله سبحانه، حيث تجري عليه أحكامه، أضف إلى ذلك: إن الله سبحانه قد جعل للإنسان حرية واختياراً في الحياة الدنيا، فلو أنه تعالى تحدث عن مالكيته فيما يرتبط بهذه الحياة فلربما توهم بعضهم من ذلك أن ثمة نوعاً من الجبرية الإلهية، وأن الإنسان حين يستخدم إرادته واختياره يكون قد تمرد على الله، واجترأ عليه، إذن فالتجلي للمالكية الإلهية يكون في يوم القيامة، حيث لا يملك الإنسان لنفسه نفعاً ولا ضراً ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

الدِّين هو الجزاء:

أما ما ورد عن الأئمة عليهم السلام من: أن الدِّين هو الحساب، فمن الواضح: أنه من باب ذكر الملزوم وإرادة اللازم، فإن الدِّين هو الجزاء، ثواباً على الإحسان، وعقاباً على الإساءة، والجزاء إنما يكون بعد الحساب.

﴿يَوْم﴾:

ويبقى هنا سؤال: إنه إذا كان اليوم هو مجموع الليل والنهار، وإذا كانت الشمس في يوم القيامة سوف تكور (أي يذهب ضوؤها) ولا يبقى ليل ولا نهار، فأي معنى يبقى لكلمة (يوم) في قوله تعالى: **﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾؟!**

والجواب عن ذلك: أن كل حادث زماني يبقى زمانياً، سواء في الدنيا أو في الآخرة، والمراد باليوم هو القطعة من الزمان، ولا يجب أن يشتمل الزمان على ليل ونهار، وقد تكون القطعة طويلة وقصيرة، قال تعالى: **﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾**[1]، وقال: **﴿وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾**[2].

---

(١) سورة المعارج: آية٤.

(٢) سورة الحج: آية٤٧.

واليوم الذي فيه الليل والنهار هو اليوم الدنيوي، بل إننا حتى في اليوم الدنيوي نجد أماكن يكون فيها الليل بمقدار ستة أشهر، بل قد يقال: إن بعض الأماكن لا تغيب عنها الشمس أبداً، أو تغيب عنها بمقدار ساعة واحدة مثلاً، فإذا أراد سكان تلك البلاد أن يمارسوا عباداتهم من صوم وصلاة مثلاً، فإن عليهم أن يراقبوا حالة أقرب البلاد إليهم ويعملوا على هذا الأساس.

ومن جهة أخرى فإن لغة القرآن هي العربية، وهي اللغة التي وضع الناس مفرداتها للدلالة على أمور حسية في بداية الأمر، ثم وضعوا ألفاظاً للدلالة على المعاني القريبة من الحس، وهي التي يتلمسون آثارها ويحسون بها، ثم بدأوا يتوسعون في استعمالاتهم لها إلى ما هو أبعد وأدق، وذلك بواسطة المجازات والكنايات والجري والانطباق، والاستعارات، وبواسطة تركيب الألفاظ بطريقة معينة، لتدل على المعاني المطلوبة، فاستعمال كلمة يوم في القطعة من الزمن الممتد، الذي لا يشتمل على ليل ولا على نهار لا غضاضة فيه، وهو اللغة التي يمكن أن تستخدم لتعريف الناس بحقيقة ما يجري في تلك البرهة الحاسمة من تاريخ الإنسان الذي يقدم عليه.

تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾:

ولكي نقترب قليلاً إلى واقع قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، فإننا نعود ونذكّر بالعقائد الأم، كعقيدة التوحيد الكامل مثلاً، التي تنبثق عنها تفصيلات تقول: إنه تعالى هو وحده المؤثر، وهو مصدر الفيض للعنايات والألطاف، وهو وحده المستحق للعباد، وهذا الاعتقاد التفصيلي هو الذي يترك آثاراً مباشرة ومهمة في التكوين الفكري للإنسان، ثم في صياغة مفاهيمه، ثم هو ينعكس على الواقع المعاش سلوكاً وموقفاً، له خصوصياته ومميزاته عما عداه، هذا عدا عن تأثيراته الحقيقية في تكوين الشخصية الفردية والاجتماعية للإنسان.

ويكفي أن نشير هنا: إلى أن هذا الاعتقاد هو الرافد الشعوري، والفكري لانطلاقة الصراع مع النفس الأمارة بالسوء، واستمرار هذا الصراع لتطويعها على ممارسة التوحيد في العبادة وفي السلوك، لتنتج هذه العبادة أخلاقاً تتناسب معها، وإخلاصاً لله عز وجل بمستوى رسوخ هذه العقيدة، وبمستوى وضوحها أيضاً، لتصبح ممارسة هذا التوحيد على درجة من العفوية والفطرية، بعيدة عن حالات الرياء والعجب والكبر وعبادة الذات، والمال، والمنصب، والزعيم، والحزب، والبنين، والسلطة، والهوى، وما إلى ذلك من

أمراض نفسية تتنافى مع عقيدة التوحيد في العبادة.

فالرياء شرك، سواء أكان العمل ضرورة حياتية للفرد أو للمجتمع، لأن الرياء معناه جعل قسم من هذا العمل لجهة أو لشخص أو لفئة أخرى غير الله سبحانه، بحيث يكون لهؤلاء تأثير ومشاركة.

إذن، فلا بد من تخصيص العبادة لله، ولا بد من توحيد العبادة له تعالى؛ لأنه وحده المستحق لها، ليصبح قولنا: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾، له معناه ومغزاه الحقيقي، بعد أن وضحت الرؤية التوحيدية العقائدية، في العبادة، وفي السلوك والعمل، منذ بدأنا بكلمة بسم الله، حتى انتهينا إلى ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾، فأثمرت تلك النظرة، وتلك العقيدة عبادة خالصة له سبحانه دون سواه، وأثمرت سلوكاً توحيدياً، فلا يستعين بغيره تعالى، وظهر وحصل الربط بين العقيدة والسلوك بصورة طبيعية وواقعية.

تقديم كلمة: (إياك):

وفي كل ذلك يشير إلى بعض ما يرمي إليه تقديم كلمة (إياك) على كلمتي: (نعبد) و(نستعين)، فإن هذا التقديم ينتج الأمور التالية:

التخصيص للعبادة وللاستعانة به تعالى، وقد أنتج لنا هذا التخصيص، من جهة: إيجابية التوحيد في العبادة، والعمل، ومن

جهة أخرى: نفي الشريك، ونفي التأثير لغير الله في أي عمل عبادي أو سلوكي كان، ونفي استحقاق العبادة لكل من عدا الله سبحانه، هذا بالإضافة إلى حاجة كل عمل في بقائه واستمراره، وتكامله وتحسينه، إليه سبحانه وتعالى.

وهكذا يتضح: أنه قد انبثق عن العقيدة الأم عبادة، هي عمل وحركة، وانبثق عنها صفة لهذا العمل ولهذه الحركة العبادية، وهي كونه عملاً توحيدياً وحركة توحيدية أيضاً.

إنه تعالى يريد من هذا التخصيص، ومن استعمال كلمة (إياك) التي تعني الحضور والخطاب المباشر: أن يوحي لنا أنه يريد من هذا الإنسان أن يتوجه إلى الله، ويشعر به، ويتعامل معه حتى كأنه حاضر أمامه إلى درجة الحس المباشر، ولا يكتفي بالاعتماد على الانتقال الذهني، استناداً إلى ضمير الغائب، فلم يقل: (نعبده ونستعينه)، ومن الواضح: أنه إذا كان الله سبحانه هو وحده مصدر كل خير وعطاء وقوة وو...إلخ، فإنه يكون وحده المستحق للعبادة ولا تصح الاستعانة بغيره أبداً.

وإذا كان الله هو مصدر كل خير وعطاء وقوة فلا يملك الإنسان قوة ولا أي شيء ذاتي في نفسه خارج نطاق العطاء الإلهي، فلماذا يكون ثمة عُجُب بالنفس، فالتوحيد الخالص يمنع العُجُب كما

أنه إذا لم يكن أحد غير الله يملك ضراً أو نفعاً فلماذا الرياء، فالتوحيد الخالص ينفي الرياء أيضاً، إنه يريد الحضور والمشاهدة والخطاب، الذي تتشارك فيه العين في نظرتها، مع اليد في إشارتها، مع اللفظ في دلالته، مع السمع في تلقيه، مع القلب في وعيه، مع سائر الحواس والمشاعر، واللمحات والخواطر، وذلك إمعاناً في تحقيق التعيين، ونفي أي توهم للمشاركة، وإبعاد أي شبح للإبهام أو للإيهام، فيما يراد إثباته من تخصيص العبادة له وبه تعالى، وفيما يراد طلبه منه من الاستعانة والهداية.

ثم إنّ تمحض الخطاب له تعالى، ومعه، وإبعاد شبح أي إيهام أو إبهام أو مشاركة من شأنه أن يوحي لنا بالتحرر من أية رابطة مع غير الله سبحانه، ليتحقق الخلوص في عبادته،وفي الاستعانة به سبحانه، وواضح: أن هذا التحرر التام هو نتيجة التوحيد الحقيقي، وتأكد أو رسوخ أساس العقيدة بالنبوة وبالمعاد أيضاً، فإن ذلك يفرض توحيد العبادة والعبودية، وتوحيد العمل والسلوك أيضاً.

نعبد ونستعين بصيغة الجمع:

وقد استعمل سبحانه هنا صيغة الجمع لا المفرد، فقال: (نعبد)، (نستعين)، (إهدنا)، ولم يقل: (أعبد)، (أستعين)، (إهدني)، ولعله من أجل أنه سبحانه يريد لهذا الإنسان أن يعيش خصوصيته

الفردية في نطاق حياته الاجتماعية، ولا يريده أن ينعزل، وينطوي على نفسه ويتقوقع داخل قفص حديدي قضبانه هي الخصوصيات الفردية المحددة، والمؤذية أحياناً، وهذا أسلوب تربوي رفيع يهدف إلى تحويل الحركة الفردية، والفعل الشخصي إلى إنجاز جماعي، له قيمته الإنسانية الفضلى.

مع الإشارة إلى أن التشذيب والتهذيب، وإيجاد حالة التوازن في الخصوصيات والطموحات الفردية إنما يكون في ساحة الصراع والتحدي، حيث لا بد أن تعبر تلك الحالات الفردية للأنا عن نفسها، وعن وجودها، حيث لا مبرر لهذا البروز في حالة الانطواء والبعد عن ساحة الصراع هذه، ولأجل ذلك، فإنه تعالى حتى حين يشرِّع العبادات كالصلاة، فإنه قد جعل طابعها العام جماعياً واجتماعياً بصورة ملموسة وظاهرة، فالصلاة التي هي صلة للعبد به تعالى قد انطوت في تشريعاتها وخصوصياتها وحالاتها على ما يجعل إحساس العبد بصلته بالله سبحانه يتبلور في نطاق الحياة الاجتماعية، ومن خلالها، ففي الأذان دعوة إلى التجمع من أجل الصلاة جماعة، وهي في المسجد أكثر ثواباً، ويزيد هذا الثواب بعدد أفراد الجماعة المشاركين[1]، ثم تتلو نصوص الصلاة التي تصهر روحك في بوتقة المجتمع الكبير فتقول: إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا صراط الذين

(١) مع أن عدد أفراد الجماعة ليس عملاً، وليس من اختيار نفس المصلي.

أنعمت عليهم، ثم تكون آخر كلماتك هي: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فتخرج من الصلاة لتدخل من باب الصلاة نفسها - بعد أن تكون حصلت على السلام النفسي والروحي - إلى قلب هذا المجتمع الكبير، لتعيش بهذا السلام، بعد أن تكون هذه الصلاة قد أسهمت في تصفية روحك، وتزكية نفسك، وأهّلتك لأن تكون العضو الصالح والقوي والفاعل في مجتمعك، ولا تزال تنهاك عن الفحشاء والمنكر، وهي عمود الدين، وهي النهر الذي تغتسل فيه كل يوم خمس مرات، لتكون مثال الطهر والصفاء والنقاء، فالعبادة الفردية إذن تقوم - بالإضافة إلى سائر منجزاتها الكبرى - بتأهل الفرد واستصلاحه ليكون العضو الفاعل والعامل الذي يحمل في داخله الأمان والسلام، ليزرعه وليثمر عزاً وقوة، وخيراً وبركة، وسمواً ونبلاً، وهكذا يتضح أن هذا التوحيد في العبادة، والانطلاق إلى الله سبحانه في رحاب الجماعة بعد أن تسقط جميع الحواجز والموانع والحدود الفردية، إن هذا - ولا شك - يفتح أمام هذا الإنسان آفاقاً رحبة، تدعوه إلى الانسياب فيها، والانفتاح على كل ما تحتضنه في داخلها، ليتصل هذا الفرد بكل ما هو خارج حدود فرديته، ليصبح بحجم الإنسان كله، وبمستوى الإنسانية كلها، وينطلق كادحاً إلى ربه، وإليه فقط دون كل ما سواه، تاركاً أفقه الضيق والمحدود،

ليستقبل الأفق الأرحب في ملكوت الله ويهوِّم في رحابه اللامتناهية، سعيداً بما استطاع أن يحصل عليه من مزايا إنسانية، سعيد بدرجات القرب من الله تعالى، وبما أكرمه الله به ﴿**يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ**﴾[1].

فهذا التوحيد في العبادة والأفعال قد جعل هذا الإنسان أوسع أفقاً وأرحب فكراً، وأكثر وعياً للحياة، وسوف ينتج ذلك مزيداً من التأمل والفكر، ثم العمل الجاد الذي يكون في مستوى هذه النظرة الشمولية والواعية.

إن الذي يطالع تشريعات الإسلام وأحكامه يجد: أنه يريد أن يصوغ الفرد بطريقة تجعله صالحاً لأن يكون لبنة في بناء المجتمع الكبير، ولا بد لأجل تحقيق هذا الهدف من تحقيق حالة التناسق والانسجام مع سائر اللبنات التي لا بد لكل منها بحسب موقعها، وما يتطلبه الوضع الهندسي للبناء ككل من أن تتخلى هي وتفرض على مشاركاتها أن تتخلى أيضاً عن كثير من المزايا الفردية التي لولا ذلك لتُركت على طبيعتها، ويكون التعويض غير المباشر عن تلك الخصائص والمزايا الفردية هو اكتساب كل المزايا والاستفادة من كل القدرات والطاقات الجماعية، التي تنعكس قوة للفرد، وطاقة له، ولكن بطريقة أخرى، وبأسلوب آخر، وهذا ما يؤكد أن للعبادة

(١) سورة الانشقاق: آية٦.

التي لها دور رئيس في صياغة مزايا الفرد، لا بد أن توضع في القالب الجماعي، لتصوغ تلك المزايا في حالة من التوازن والانسجام، لتنشأ متخذة بصورة عفوية الشكل الهندسي المطلوب، وليس من الضروري، بل ليس من الحكمة أن تنشأ هذه المزايا بصورة مستقلة ومنفصلة، ثم يصار إلى عملية تقليم وتطعيم، وتهذيب وتشذيب قسرية لها، لأن ذلك لن يكون في منأى عن إحداث أضرار وندوب، وآثار تبقى وتظهر بصورة أو بأخرى، كان بالإمكان أن لا تكون وأن لا تراها القلوب والعيون، وبذلك يمكن تفسير صيغة الجماعة في قوله تعالى: (نعبد)، (نستعين)، (إهدنا).

ما المراد بالعبادة؟:

وإذا أردنا أن نستوضح المراد من العبادة في (إياك نعبد) وسواها فإننا نقول:

لقد قال الله سبحانه: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾[2]، فهدف الخلقة إذن هي عبادته تعالى، والمراد بهذه العبادة هو الانقياد المطلق لإرادة الله سبحانه في أوامره وزواجره؛ إذ أن الله قد خلق هذا الكون، وهذا الإنسان، ورسم له هدفاً لا بد له من

(١) سورة الذاريات: آية٥٦ .

(٢) سورة البينة: آية٥ .

التحرك باتجاهه، حتى ينتهي إليه، وهذا الهدف، وتلك المسيرة ليست واضحة المعالم لهذا الإنسان تمام الوضوح، بل هي غارقة في بحر الغيب، ومحفوفة بكثير من الأمور التي تحجب الرؤية الصحيحة لها، والشاملة لكل ما يرتبط بها.

والذي يعرف ذلك الغيب، ويهيمن على كل هذا الواقع هو الذي يفترض فيه أن يقدم الإرشادات الهادية إلى طريقة التعامل مع كل هذا الواقع، وكيفية استعمال هذه الأجهزة التي تمكن الإنسان من التحرك بصورة سليمة وقويمة باتجاه ذلك الهدف حتى بلوغه، وهذا كما لو اشتريت جهاز كمبيوتر مثلاً، فإن تشغيله بصورة عشوائية لن يحقق الأهداف المتوخاة منه، فلا بد من التماس طريقة التشغيل وتعليماته من نفس صانع ذلك الجهاز، ثم الالتزام الدقيق بها لتحصل على ما يراد الحصول عليه منه.

والإنسان أيضاً قد زوّده الله بأجهزة تتناسب وتتناغم مع كل ما أودعه الله من أسرار في هذا الكون الذي يريد من خلال التعامل معه أن يصل إلى الله سبحانه ويبلغ رضوانه ويسعد بإنسانيته (لا بالمال ولا بالمنصب، ولا بالجمال أو الشكل، ولا بغير ذلك) وينطلق ليحيا الحياة الحقيقية بعمق، وبكل ما يملك من طاقات كما أشار إليه تعالى حين قال: ﴿**إِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾[1]، وأي

(١) سورة العنكبوت: آية ٦٤ .

استعمال لهذه الأجهزة بغير الطريقة المرسومة لن ينجح في تحقيق هذا التناغم فيما بينها وبين سائر نواميس الطبيعة، فيكون الخلل، ويكون الخسران.

إذن، فلا بد من الطاعة الدقيقة والشاملة لأوامره تعالى، وهو المراد بالعبادة، ولا يمكن السماح بأصغر مخالفة للتعليمات الإلهية، لأن ذلك سينعكس سلباً على سلامة المسيرة، ولن يمكن ضمان وصول القافلة بسلام إلى الهدف المنشود بدون ذلك، وهذا ما يفسّر لنا: أيضاً قوله تعالى: ﴿**لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾[1]، فلا يكون ثمة أية عبادة، أو فقل: أي طاعة وانقياد لغير الله، بل وينحصر ذلك به تعالى، وبه فقط.

تنوع المستحبات وكثرتها:

ومن الواضح أن الإسلام قد قدّم - في نطاق تعليماته - مجموعة من الأوامر والزواجر، وكل منهما ينقسم إلى ما هو ملزم، وما هو غير ملزم، حيث إن الواجب ترافق مع المستحب، وجاء إلى جانب الحرام، المكروه، أضف إلى ذلك: هذا الحجم الهائل، وهذا التنوع العظيم للمستحبات على وجه الخصوص، فما هو هذا السر في هذا وذاك يا ترى؟ ولماذا؟!

---

(١) سورة البينة: آية٥.

إننا نعتقد: أن الإجابة على هذين السؤالين تبدأ بالإشارة إلى أن هناك أموراً يسبب فعلها أو تركها خللاً مباشراً في الواقع الذي يراد له أن يكون سليماً، ومتماسكاً وقوياً، وهناك أمور لها دور صيانة لهذا الواقع، أو دور التأهيل لما يحتاج إلى التأهيل لتحمّل أعبائه، ومتابعة المسيرة بصورة أكثر أمناً، وأكثر شعوراً بالثقة، وأحياناً يكون ثمة طموح إلى تجاوز الحد الأدنى من الأهلية، من أجل مواجهة الصوارف والتحديات القوية، التي قد تأتي من داخل الإنسان: من غرائزه أو شهواته، أو بسبب وجود خلل في تكامل بعض خصائص شخصيته بالمقارنة مع ما عداها، وكذلك مواجهة التحديات الكبيرة التي قد تأتي من خارج شخصية الإنسان، والتي قد تضع الإنسان في أحيان كثيرة في محيط الكارثة الحقيقية، ولأجل كل ذلك وسواه كانت المكروهات والمستحبات فيما يبدو.

وبما ذكرناه أيضاً يعرف سبب التنوع في خصوص المستحبات، فإن الهدف بالإضافة إلى أمور أخرى هو شحن هذا الإنسان روحياً بواسطة هذه المستحبات، والمفروض هو وجود تنوع في ظروف وقدرات، وحالات الإنسان، وضروريات حياته المختلفة، فمع تكثر وتنوع المستحبات يصبح باستطاعته أن يستفيد منها في مختلف حالاته وظروفه النفسية، والجسدية، والاجتماعية، والمعيشية وغيرها، حيث يجد فيها ما يتلائم مع كل حالة وكل ظرف، فقد يرغب في الصوم

إذا كان الصوم يلائم ظروفه وتُقبِل عليه نفسُه، وقد يرغب في قراءة القرآن إذا كانت حالته المعيشية والجسدية وسواها تسمح له بذلك، وقد يرغب في العمل الاجتماعي وقضاء حاجات المؤمنين، فيختار ذلك أيضاً، وهكذا في سائر الحالات والأوضاع والظروف.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾:

وإذا انتقلنا إلى قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فإننا نسجل ما يلي:

الوعي يقتضي الاستعانة:

إنه إذا عرف الإنسان حجم ما يواجهه من تحديات من داخل ذاته، وهو ما يحتاج لدفع آفاته إلى الجهاد الأكبر، على حد تعبيره صلى الله عليه وآله، وعرف أيضاً حجم التحديات التي تواجهه من خارج ذاته، في كل موقع وفي كل مجال، فإنه يدرك أنه بحاجة إلى الاستعانة بمصدر القوة والالتجاء إلى مصدر العطاء والفيض، ولن يستطيع أن يحقق حلمه الكبير من دون ذلك.

التوحيد في العبادة والاستعانة:

وإن الآية الشريفة في حين أكّدت على التوحيد الكامل في العبادة، فإنها قد أكدت أيضاً على التوحيد في العمل، حيث حصرت الاستعانة به سبحانه دون كل ما ومن عداه، الأمر الذي يعني: أنه

تعالى وحده القادر على التأثير، وأنه وحده الغني، والقوي، وو... إلخ، فمن أجل ذلك كان لا بد من حصر الاستعانة به تعالى، ومن أجل ذلك كان التوحيد في الاستعانة معناه الحرية الكاملة والحقيقية، حيث لا يشعر أنه بحاجة إلى أحد لأن الجميع لا يملكون ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، ولأجل ذلك جاءت الاستعانة مطلقة ومن دون تقييد أو تحديد.

جبر أم اختيار:

وإذا لوحظت صيغة الآية فإنها تدل دلالة واضحة على أننا نحن الذين نختار أن نفعل، ونحن الذين يصدر عنا الفعل الذي نختاره، فنحن نعبد الله، ونحن أيضاً نعمل ونطلب منه تعالى أن يعيننا على ما نعمله، ولذا قال: (نعبد)، (نستعين)، فلو كان هو الذي يعمل فلماذا نطلب منه العون؟! ولماذا أيضاً ننسب العبادة إلى أنفسنا؟!

الاستعانة، والعجب والرياء وغيرها.

ونقول أيضاً:

أولاً: إن إحساسنا بالحاجة إلى معونة الغير لنا، معناه: أننا لا نملك القدرات الكافية لإنجاز الفعل بالاستقلال، وهذا من شأنه أن يبعد الإنسان عن الشعور بالعجب الناشئ عن الإحساس

بالقدرة الفائقة، وبالاستقلالية في التأثير.

ثانياً: إذا كان الإنسان يحسّ بالحاجة إلى الغير من الناس، أو يشعر بالضعف أمامه، فقد يلجأ إلى أن يتزلف له، ويتقرّب منه، بإظهار خلاف الحقيقة، فيقع في الرياء، وفي محاولة التزييف والخداع، أما إذا تأكد لديه: أن الله وحده هو الذي يمكن أن يرفع ضعفه، ويسد حاجته، فإنه لا يجد ضرورة للتزلف إلى غيره، ويكون قد ابتعد بذلك عن حالة الرياء التي تنشأ عادة من الشعور بالحاجة إلى الآخرين، أو بالضعف أمامهم، فإذا وجد أنهم لا يملكون ما يجبر ضعفه، ويسد حاجته؛ فلماذا يتزلف إليهم؟ ولماذا الرياء؟ وإذا رأى: أن غيره ضعيف مثله، وليس لديه ما يتقوى به، فلماذا وعن أي شيء يخدعه؟

ثالثاً: ثمة نقطة أخرى نشير إليها هنا، وهي أن الإنسان يحتاج إلى المعونة وهو فرد، ويحتاج إليها، وهو جماعة، فلا يمكن أن يستغني عن معونة الله سبحانه في الحالتين، فإذا كانت الجماعة تحتاج إلى العون، فحاجة الفرد إلى ذلك تصبح أولى وأوضح.

الاستعانة بغير الله سبحانه:

تمنع بعض الفرق من الاستعانة بغير الله سبحانه، وتعد ذلك شِركاً، وخروجاً عن الدين، إذ لا مؤثر في هذا الوجود سوى الله

سبحانه، والاستعانة بغيره تستبطن الاعتقاد بوجود مؤثر آخر سواه، إذن، فلا يجوز - وفق مقولتهم - أن نقول عندما يتكالب علينا المستكبرون: يا مهدي أدركنا، وعندما يتكالب علينا الأعداء، ونحتاج إلى الأسوة، وإلى إلهاب روح التضحية والفداء لندفع عنا كيد الأعداء، لا يجوز أن نقول: يا حسين، وحينما نشعر بالمظلومية ونحتاج لبلسمة الجراح لا يجوز أن نقول: يا زهراء، وعندما نحتاج إلى الصبر في موقع الكرب والبلاء، لا يجوز - وفق مقولتهم أيضاً - أن نقول: يا زينب، وعندما نريد أن نتقوى على العمل الكبير والخطير، لا يجوز أن نقول: يا علي، ولا يجوز أن نطلب شفاء المريض، وحفظ الغائب من النبي أو الولي، إلى آخر ما هنالك.

وهذا الكلام ظاهره جميل ومنسجم مع تقديم كلمة ﴿وَإِيَّاكَ﴾، المفيد للتخصيص للاستعانة به تعالى، في قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ولكن الحقيقة هي: أنه كلام غير مقبول، بل وغير معقول، وذلك لما يلي:

- إنه لو صح هذا لاقتضى تحريم قصد الطبيب للعلاج، ولاقتضى تحريم شرب الدواء، ولاقتضى كذلك تحريم طلب المعونة في حمل الحجر أو الصندوق الثقيل، ولاقتضى تحريم أن يطلب الإنسان من أحد أن يناوله الإبريق مثلاً ليشرب، فإن ذلك كله أيضاً استعانة بالمخلوق، فإن كان ما تقدم يُعدُّ شِركاً، فهذا أيضاً مثله.

لقد حفل القرآن الكريم بالآيات الصريحة بطلب العون، أو طلب التعاون من غير الله سبحانه، فلو كان ذلك شِركاً، فلماذا يأمر الله سبحانه بالشرك؟ فلنقرأ الآيات التالية:

قال تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾(١)، وقال: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾(٢)، وقال: ﴿**اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾(٣)، وقال تعالى: حكاية لقول ذي القرنين: ﴿**قَالَ مَا مَكَّنَنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً**﴾(٤).

- هناك فرق بين الاستعانة وبين العبادة، والمحرم هو عبادة غير الله لا الاستعانة به، فيحرم عبادة غير الله لأي سبب كان وبأي طريقة كانت، وكما يحرم السجود له كذلك يحرم التمسح به تمسح عبادة، وكما يحرم السجود له بعنوان كونه رباً وإلها وخالقاً، كذلك يحرم السجود له بعنوان أنه يقربه إلى الله زلفى، أما الاستعانة، فهي لا تلازم الاعتقاد بوجود مؤثر غير الله على حد التأثير الإلهي أو الربوبي، بل الاستعانة بالنبي أو الولي، إنما هي من أجل أننا لا نرى

(١) سورة المائدة:آية٢ .

(٢) سورة البقرة:آية٤٥ .

(٣) سورة البقرة: آية١٥٣ .

(٤) سورة الكهف:آية٩٥ .

في أنفسنا أهلية الوقوف بين يدي الله والطلب منه بسبب ما اقترفناه، فنطلب من هذا النبي والولي أن يتولى هو طلب حاجاتنا منه تعالى، فإذا شفي المريض فالله – والحالة هذه – هو الذي شفاه، وإذا قضيت الحاجة فإن الله هو الذي قضاها، وهذا ليس من الشرك في شيء، بل هو عين الإخلاص والمعرفة والتوحيد.

كما أننا حين يعين بعضنا بعضاً فليس ذلك بقدرة ذاتية، بل بالقدرة التي أعطانا إياها الله، ومن المال الذي رزقناه الله، إلى آخر ما هنالك، وهذا من الأمور البديهية التي يدركها حتى الأغبياء، فضلاً عن الأذكياء والعلماء.

تفسير قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾:

هناك عدة أمور لا بد من الحديث عنها في هذا المقام، وهي التالية:

ارتباط الآية بما قبلها:

لكي نفهم بصورة أعمق مدى ارتباط هذه الآية بما سبقها، فعلينا أن نشير إلى التسلسل الطبيعي لما تحدثت عنه الآيات السابقة، فنقول: إنه بعد أن تأكد الاعتقاد بالله سبحانه، وبصفاته ـ الجمالية والجلالية ـ ثم بيوم الدين، فلا بد أن تترك هذه الاعتقادات آثارها

على العقل، والمشاعر، والمفاهيم والعواطف، وغير ذلك، ثم هي قد أنتجت عقائد تفصيلية أثارت حركة، وسلوكاً، وموقفاً هو عبادة توحيدية خالصة له تعالى، وكان لا بد أن يكون ذلك السلوك والعمل، وتلك العبادة منسجمة مع طبيعة الهدف الذي يسعى إليه الإنسان، وهو أن يحقق هذا الإنسان ذاته، ويستجمع خصائصه ومزاياه الإنسانية، ويقيم حالة من التوازن فيما بين تلك الخصائص والمزايا، ليحقق من خلال ذلك انسجامها مع ذلك الهدف، وتناغمها معه بصورة إيجابية وبنّاءة ودافعة للحركة الصحيحة باتجاهه، ومن ثم باتجاه مواقع الزلفى والقرب من الله سبحانه وتعالى.

وبعبارة أخرى: إن الإنسان إنما يسعد بإنسانيته، وباقامة حالة من التوازن بين كل خصائصه ومزاياه وطاقاته بجميع تنوعاتها، لأن حالة التوازن هذه هي التي تعطيه السلام والطمأنينة في ظل الرضى، والرعاية الإلهية، وأي خلل واهتزاز في حالة التوازن هذه -بسبب اقتراف معصية، أو بسبب تربية خاطئة- سيؤدي إلى اهتزاز هذا السلام النفسي وتقويضه، وسينعكس سلباً على درجة القرب من الله سبحانه، قال تعالى: ﴿**أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[1].

ومن الواضح: أن إقامة حالة التوازن هذه، وسعادة الإنسان بإنسانيته،ثم السعي نحو الله سبحانه لنيل درجات القرب والرضى

(١) سورة الرعد: آية٢٨ .

منه تعالى، أن ذلك إنما يتم بالعمل، والممارسة، فلا بد من أطروحة عملية تقدم لهذا الإنسان نهجاً يساعد على تحقيق ذلك، وتقدم له أيضاَ قوانين وأحكاماً سلوكية تحمي خطواته على هذا الطريق من أن تزل وتنحرف، وهو أيضاً بحاجة إلى العون والرعاية والهداية، ولا بد أن نتلمس هذا النهج، وتلك النظم والقوانين والأحكام ونطلبها منه تعالى لأنه سبحانه -بصفته رب العالمين- هو وحده العارف بما خلق، وهو وحده المطلع على كل الغيب وعلى جميع الأسرار، وهو المربي، والعالم بطبيعة المر بوب، والعالم بسبل الوصول إليه، والاتصال به، فقوله: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾، يأتي كنتيجة طبيعية لقوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾، فهو الجهة التي نلجأ إليها بصورة عفوية وطبيعية، فإذا كان لا بد من عبادة توصل إليه تعالى، ولا بد من كدح وعمل ومواجهة مصاعب ومتاعب، فإن طلب المعونة، وطلب الهداية إلى الضوابط والأحكام التي تضمن سلامة الحركة يصبح أمراً ضرورياً، فالعبادة ليست هدفاً، وإنما هي وسيلة تستبطن العمل الذي يحقق الهدف ولكي يكون العمل مؤثراً لأثره دون أية سلبيات، فلا بد من نهج وخطة وضوابط تمنع من الخطأ، وتجعل الحركة بالاتجاه الصحيح.

الطلب الجازم:

وقد جاء طلب الهداية هذا بتّياً وجازماً، فلم يقل: إهدني إن شئت، أو إن أحببت، لأن المطلوب في كل دعاء وطلب من الله هو ذلك، فقد أمرنا بالإلحاح في الطلب، وبالجزم والبت فيه، فإنه تعالى يحب إلحاح الملحين من عباده المؤمنين[١].

الإسلام لا يغني عن طلب الهداية:

وقد يخطر ببال البعض أن يقول: ما دمنا قد أسلمنا وآمنا، فقد حصلت الهداية، فلماذا نطلبها وهي موجودة لدينا؟ وهل هذا إلا طلب الحاصل؟ ولماذا كلفنا الله سبحانه بطلبها في صلواتنا كل يوم عشر مرات على الأقل؟ ونقول في الجواب:

أولاً: صحيح: أن الله سبحانه قد رسم لنا بالإسلام طريق الهداية، ولكن مجرد العمل بأحكامه لا يكفي لتحقيق الهدف المطلوب، وهو أن يحقق الإنسان إنسانيته ويستكمل مزاياها ليصل من خلال ذلك إلى الله سبحانه، وينال درجات القرب منه، فالكل يصلي، لكن صلاتهم لا تنهاهم عن المنكر، بل بعضهم ينتهي عنه، وبعضهم لا ينتهي، والذين ينتهون عن المنكر، بعضهم أرسخ امتناعاً

---

(١) راجع بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٩٢، ص١٥٥، وقرب الإسناد، الحميري: ص٥.

وانتهاءً من بعض، وعدا عن ذلك فإن الصلاة هي معراج المؤمن، وقربان كل تقي، لكن الكثيرين ـ وإن كانت صلاتهم تنهاهم عن الفحشاء ـ لا يكون لهم عروج بها، ولا تكون قرباناً لهم، إلا بمقدار ضئيل وضعيف، إذ كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والظمأ، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر والعناء[١].

وهذا الحد الأدنى من العمل قد يسقط التكليف، ويمنع من العقاب، ولكن قد لا يثاب المرء عليه، ولا يفيده شيئاً في إيصاله إلى هدفه الأسمى، وقد صرح أمير المؤمنين عليه السلام، بأن العبادة درجات ومراتب، فقال: (إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار)[٢]، وهو الذي يقول: (ما عبدتك خوفاً من عقابك، ولا طمعاً في ثوابك، ولكني وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك)[٣]، فالعمل الذي يسقط التكليف هو الخطوة الأولى في رحلة الألف ميل، ثم بقدر إخلاص الإنسان في عبادته، وبقدر ما يبذله من جهد، بقدر ما يكون القرب والرضى، فإذا كان الإنسان

(١) نهج البلاغة: ج٣، ص١٨٥ (بشرح عبده)، الحكمة رقم ١٤٥، وبحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٩٣، ص٢٩٤، وراجع: ص٢٩٣.

(٢) نهج البلاغة (بشرح عبده) مطبعة الاستقامة بمصر: ج٣، ص ٢٠٥، الحكمة رقم٢٣٧ .

(٣) مستدرك سفينة البحار، الشيخ النمازي الشاهرودي: ج٧، ص٥٥.

في درجة ومرتبة، فإنه يحتاج إلى الهداية وإلى المعونة لينتقل منها إلى درجة أعلى، ثم إلى الأعلى منها، وهكذا، ووسائل ذلك هو الصبر، والإخلاص والجهد، وجهاد النفس.

ولكل منـزلة ودرجة خصوصياتها وآفاقها، ومسؤولياتها التي تختلف في حجمها وتفاصليها عن سابقتها، ولها كذلك واجباتها التي تنسجم معها، ومع ما استجد لهذا الإنسان، وما انفتح عليه من معارف وآفاق، وأحوال وغيرها، فهي إذن تحتاج إلى هدايات إلهية جديدة، ليعرف كيف يتعامل مع هذا الواقع الجديد، ليتفاعل، ثم ليتأقلم معه، وليتمكن من تهيئة الوسائل لاستمرار تحركه باتجاه مراحل أخرى أرحب وأوسع وأرقى، فلا بد له من هداية في محيطه قبل الانتقال، ثم هداية في حركته الانتقالية، ثم هداية ثالثة حين بلوغه المرحلة الجديدة، فهو كالمسافر الذي يحتاج إلى هداية أولية، ثم إلى هدايات في كل مرحلة يصل إليها، ثم إلى هداية بعد الوصول ليكون على علم بتفاصيل وحالات ومناخ البلد الذي وصل إليه.

والعبادة والقرب من الله سبحانه لا ينحصر بالصلاة والصوم والحج، بل إن كل عمل يمكن أن يكون عبادة، وقد يكون تفكرك بالله، ومحاسبتك نفسك في آخر ساعة من نهار أفضل من عامة عباداتك، الخاوية والخالية من الإخلاص والتفكر، بل قد يصاحبها رياء وعجب، يخرجها من دائرة كونها مظهراً من مظاهر التوحيد،

لتكون شركاً موبقاً ومهلكاً.

وقد يكون نومك عبادة إذا كنت صائماً، ولا تكون صلاتك عبادة، كما أن كدك على عيالك، وإحسانك لوالديك ومرابطتك على الثغور، وسعيك في قضاء حاجات المؤمنين، قد يوصلك إلى الدرجات العلى، والمراتب السامية، التي ترفعك إلى درجة عبادة الأحرار، وإذا كانت كل درجة تجعل الإنسان ينفتح على الله سبحانه، بعقله ووعيه، وفكره ومعرفته بصورة أتم وأكبر، فإن صلاته -إذا بلغ بعض المراحل- ربما تصير أكثر معراجية، وأشد نهياً له عن المنكر، وأمراً له بالمزيد من المعروف، ثم يصبح دعاؤه مستجاباً، بل قد يصبح المستحب عنده واجباً، والمكروه حراماً، والصغيرة من الذنوب يراها كبيرة، ثم يزداد تكاملاً ورقياً حتى يصبح يرى بعين الله، وينطق بما يريده الله، ويصير يومه أفضل من أمسه، ويفهم بعمق مغزى قول علي عليه السلام: (من اعتدل يوماه فهو مغبون)[1]، ويلحق من ثم بدرجات الأولياء والأصفياء، وهذا هو السير الطبيعي الذي مرَّ به الأنبياء والأوصياء، فوصلوا إلى ما يريدون، ونالوا ما يشتهون بعلمهم وبجهدهم وجهادهم، وإن علمهم بالحلال والحرام تفسير

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٦٨، ص١٨١، ومعاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ص١٩٨، والأمالي، الشيخ الصدوق: ص٣٥٢، والأمالي، الشيخ الطوسي: ص٤٤٧ ط سنة ١٤٠١ هـ.ق، وأعلام الدين بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسي: ص٣٠٣.

القرآن، وإن كان واحداً، ولكنهم يتفاوتون في علمهم بملكوت الله سبحانه، وبأسرار الخليقة، ويزدادون في علمهم هذا، كما جاء في بعض الروايات[١]، فالحاجة إلى هداية الله وتسديده، ومعونته وتوفيقه، وفتح آفاق المعرفة بالله، والالتذاذ بقربه، وإدراك ألطافه، والتفاعل مع بركاته، هذه الحاجة مستمرة ومتجددة، وتحتاج إلى هداية بعد هداية، ولا بد من طلبها منه تعالى، ولا بد من الإلحاح والإصرار على هذا الطلب، ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾.

وثانياً: إن المراد هو استمرار الهداية الإلهية، لأنه إذا وكلنا إلى أنفسنا فإن أهواءنا وشهواتنا، والمغريات والضغوطات تتسلط علينا فتزين لنا الانحراف والخطأ، حتى لنرى الحق باطلاً، والباطل حقاً، ونقع في المآثم والمظالم، ونصبح في ظلمات بعضها فوق بعض.

﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٢]، ﴿**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ**﴾[٣]، وفي ناحية الهداية أيضاً يكون الأمر كذلك. قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**﴾[٤]، وقال

---

(١) البرهان في تفسير القران، السيد هاشم البحراني: ج١، ص١٧.

(٢) سورة المطففين: آية١٤.

(٣) سورة الصف: آية٥.

(٤) سورة محمد : آية١٧.

سبحانه: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[١].

فالحاجة إلى المعونة والهداية قائمة ودائمة، فطلبها لا بد أن يستمر، ليشملك اللطف الإلهي الغامر، أما إذا انقطعت عن طلب الهداية، وأحسست بعدم الحاجة إليها، فقد قطعت صلتك بالله، واستوجبت قطع اللطف الإلهي عنك، وأصبحت عرضة للأهواء والشهوات، لتتلاعب بك، وللشياطين لتغويك وتطغيك، وهذا ما لا يرغب به عاقل، ولا يرضى به حتى جاهل، ونجد في اللغة العربية ما يشهد لكون: إهدنا، بمعنى: ثبتنا.

وذلك فيما لو قلت لأحدهم: قف حتى أعود إليك، فكلمة: قف، يطلب بها الثبات على حالة الوقوف، وليس المطلوب، أن يقف بعد أن يكون قاعداً، وكلمة: (اهدنا) هي الأخرى من هذا القبيل.

أنواع الهداية وأقسامها:

وقد قسم بعضهم الهداية إلى أربعة أقسام هي:

- **هداية الإلهام:** وهي نوع من الهدايات التي تدفع الطفل لتناول ثدي أمه، والارتضاع منه بمجرد أن ينفصل عن رحم أمه؛ فالحواس وحدها لا يمكن أن تدفعه إلى ممارسة هذا الفن الرفيع، وكذلك ليس لديه من الإدراك في تلك الفترة ما يمكنه من ذلك،

---

(١) سورة البقرة: آية٢.

فضلاً عن أن يتعلم ذلك من معلم أو أن يقرأه في كتاب، أو غيره.

- **الهداية الحسية**: فإن الحواس لها دور في الهداية، فالبصر يهدي إلى الأشكال والأحجام والألوان، وبالسمع تهتدي إلى الأصوات، وتميز بينها، وتعرف الشجي من النشاز، والقوي من الضعيف، وما إلى ذلك. وبواسطة اللمس تعرف الحار والبارد، واللين والقاسي، والخشن والأملس إلخ، وكذلك بالنسبة إلى حاسة الشم في المشمومات، وحاسة الذوق في المطعوم والمشروب.

- **الهداية العقلية**: التي ندرك بها ما لا يقع تحت قدرة الحواس، ولا ينال بالإلهام، وذلك مثل الحسن، والقبح، والعدل والظلم، والتوافق والتضاد، والتناقض وعدمه وما إلى ذلك.

- **الهداية الشرعية**: وهي تكون فيما يعجز العقل عن درك كنهه، ويقف حائراً أمامه، وقد تَحُول الأهواء، والغرائز والشهوات دون وصول العقل إليه، حينما تهيمن عليه تلك الأهواء والشهوات، وتفقده القدرة على التمييز، فتشتبه عليه الأمور، ويخلط الحق بالباطل، فيأتي دور الشرع ليحل محل العقل في الهداية والبيان، وبعد هذا البيان نقول: كأنهم يريدون أن يقولوا: إن معنى الآية الشريفة هو: اهدنا إلى شريعتك، وبها، في المواقع التي يعجز العقل، والإلهام، والحواس عن إدراك وجه الصواب فيها، ونقول: إن هذا البيان غير

مقبول.

أولاً: لأنه كلام غائم، ولا سيما فيما يرتبط بقدرات العقل على الإدراك، وحدوده ومجالاته.

ثانياً: إن الهداية على تفسيرهم هذا تنتهي بمجرد تعليم الشريعة، فإذا عرفت أحكامها فلا حاجة لقوله اهدنا كل يوم عشر مرات أو أكثر، لأن أمور الشريعة والدين محددة ولا زيادة فيها، والزيادة إنما هي فيما هو خارج عنها.

ثالثاً: قد ذكرنا فيما تقدم: أن الهداية ليست مجرد تلقين ودلالة، ثم تقبل أو لا تقبل، على حد قوله تعالى: ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾[١]، بل الهداية إلى النجدين هي إحدى مراتبها، وتوضيح ذلك:

هذه الهداية ليست هي - كما يقول بعضهم - التوقيف[٢] الإلهي، ليردّ عليه بعض آخر: بأن الهدايات التوقيفية خاصة بالأنبياء[٣].

بل هي هداية بعد هداية تزيد وتتسع باستمرار، تبعاً لما

---

(١) سورة البلد: آية ١٠.

(٢) كتبت في جميع المواضع هنا وفي الهامش: (توفيق)، بتقديم الفاء الموحدة على القاف المثناة، والظاهر أنه تصحيف، والصحيح ما ثبتناه.

(٣) هذا إذا أريد بالتوقيف الإلهي، الوحي، أما لو الأعم منه، فلا يختص التوقيف بالأنبياء حسبما أوضحناه.

يستجد للإنسان من معارف، وتنفتح أمامه من آفاق، ويواجهه من أمور جديدة تحتاج إلى حل، وإلى استكناه حقيقتها، والانسياب في آفاقها، وذلك على حد قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾، فإن المعرفة كلما اتسعت، كلما زادت معرفة الإنسان بحجم المجهولات التي يحتاج إلى كشفها، وكثرت الألغاز التي تحتاج منه إلى حل، فإن الخير يوصل بعضه إلى بعض، ويهدي بعضه إلى بعض، كما ويشد بعضه أزر بعض، ولا يختص ذلك بالأنبياء، ما دام أن عبادات الإنسان، والتزامه بأحكام الله من الأوامر والزواجر له آثاره عليه، فتصقل روحه، وفكره وعقله وتجربته؛ وتزيد من طاقاته، وتهيؤه لنيل مراتب أعلى وأرقى، وبالوصول إليها، والحصول عليها يكتسب المزيد، فيوظفه لنيل موقع جديد من مواقع القرب والزلفى له تعالى، ويصبح أقدر على مواجهة نفسه، وصدها عن شهواتها، ثم مواجهة المغريات والمشكلات بعزم أشد، وقدرات أعظم.

وصف الصراط بالمستقيم: لماذا؟!

قالوا: إن كلمة (الصراط) تعني الخط الأقرب بين نقطتين، فهو إذن يستبطن الاستقامة، لأن أقرب خط بين نقطتين هو الخط المستقيم وهذا الخط واحد، ولا يمكن التعدد فيه، وهو أيضاً يصلك بالهدف بصورة مباشرة، ولذا، لو افترضنا خطين متوازيين يسيران، فإنهما لن يلتقيا في نقطة وهدف واحد، بل يصل إليه أحدهما دون

الآخر، أما في صورة التعرج فقد يصل الخطان إلى الهدف، وقد يكون التخلف عنه منهما معاً، أو من أحدهما، والخطوط المتعرجة تكون: أطول، وتتعدد، وقد لا توصلك إلى الهدف، وقد أشار سبحانه إلى ذلك حين قال: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾[1].

والخط المستقيم باتجاه هدف إذا انحرف عن الاستقامة، فإنه لن يصل إلى الهدف قطعاً، نعم لو انحرف مرة أخرى فإن كان الانحراف الثاني باتجاه الهدف، فإنه يصل إليه، وإن لم يكن باتجاهه فإنه يحتاج إلى انحراف آخر، وهكذا ، فإن كان الصراط يستبطن معنى الاستقامة حقاً، فإن المقصود هنا من كلمة: (المستقيم) هو التأكيد على خصوصية الصراط هذه، وذلك من أجل:

- التصريح والتأكيد على أقربيته إلى الهدف بالنسبة لسائر الطرق، بدلاً من الاعتماد على الانتقال من المعنى التركيبي إلى المعنى التجزيئي، الذي يفصل الصفة عن موصوفها ذهناً.

- الإشارة إلى قصره، وسرعة الوصول من خلاله إلى درجات القرب والفوز بها.

- الإشارة إلى أنه الطريق الواحد، الذي لا ثاني له.

---

(١) سورة الأنعام: آية١٥٣.

– الإشارة إلى إيصاله الأكيد، في مقابل غيره مما قد لا يوصل أصلاً.

تفسير قوله تعالى:

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾:

نسبة الصراط إلى غير الله سبحانه:

إن من يراجع الآيات القرآنية يجد: أنها جميعاً باستثناء آيتين قد نسبت الصراط إلى الله سبحانه، فاقرأ الآيات التالية، وقس عليها غيرها: **﴿صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾**(١)، **﴿صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾**(٢)، **﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ﴾**(٣)، **﴿صِرَاطِ اللهِ﴾**(٤).

والآيتان اللتان نسب فيهما الصراط لغير الله هما: قوله تعالى: **﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً﴾**(٥)، فإنه اعتبر في هذه الآية: أن الصراط المستقيم هو الدين القيم، أي هو صراط موصوف بأنه دين قيم، ولكنه تعالى أيضاً لم ينسب في هذه الآية

(١) سورة سبأ: آية٦. وسورة إبراهيم: آية١.

(٢) سورة الأنعام: آية١٢٦.

(٣) سورة الأنعام:آية١٥٣.

(٤) سورة الشورى: آية٥٣.

(٥) سورة الأنعام: آية١٦١.

الصراط إلى أحد، بل تركه عرضة للاحتمالات، مع العلم أن الدين القيم هو صراط الله سبحانه أيضاً، فينحصر نسبة الصراط لغير الله سبحانه في خصوص آية سورة الفاتحة: صراط الذين أنعمت عليهم، فهنا أسئلة ثلاثة:

الأول: لماذا اختصت سورة الفاتحة بهذا الأمر؟

الثاني: ما هو السبب في نسبة الصراط هنا فقط لغير الله سبحانه؟

الثالث: لماذا احتاج إلى هذا التفصيل بعد قوله: الصراط المستقيم؟ ونقول في الجواب عن هذه الأسئلة:

أولاً: إن نسبة الصراط في سورة الفاتحة إلى الذين أنعم الله عليهم ليس معناها أنه لم ينسبه فيها إلى نفسه، وذلك لأن صراطهم هو في النتيجة والمآل صراط الله سبحانه، فهو ينسبه إليهم، لأنه صراطهم الذي اختاروه ومشوا فيه وقطعوه، وإن كان الله سبحانه هو الذي سنّه وشرعه لهم.

ثانياً: إن الله تعالى حين نسب الصراط، للذين أنعم عليهم، فقد أراد أن يقول: إن الذي اهتدى إلى صراطه المستقيم، فإنما اهتدى إليه بنعمة منه تعالى وبفضله وهدايته؛ فيكون ذلك أدعى للإخلاص له، والارتباط به سبحانه وتعالى، وليس هذا الاهتداء نتيجة لقدرات

ذاتية بشرية كامنة، ومن خلال جهد شخصي، بعيد عن تسديد الله سبحانه، وهدايته، وأفضاله.

ثالثاً: إنه إذا ظهر لنا أن الآخرين قد اهتدوا إلى هذا الصراط، فإن ذلك يجعلنا نطمئن إلى إمكانية تحقق ذلك بالنسبة إلينا أيضاً، فهو إذن ليس أمراً نظرياً تجريدياً لا واقعية له، وليس فوق طاقة البشر، أو غير قابل للتطبيق، بسبب ظروف موضوعية ذات طابع معين.

رابعاً: إنه تعالى في خصوص هذه السورة التي لا بد أن نقرأها في صلاتنا عشر مرات على الأقل يومياً، يريد أن يجسد لنا الأسوة والقدوة واقعاً حياً يمكن أن نترسم خطاه، ونهتدي بهديه، وذلك لأن الإنسان -بطبيعته- يتعامل مع الأمور من خلال حواسه الظاهرية بالدرجة الأولى، ثم ينتزع من القضايا المحسوسة قضايا تصورية، ثم يبحث عن قواسمها المشتركة ويسقط خصوصياتها، ليكتشف المبدأ والنظرية، والقاسم المشترك، والقاعدة، وقد أراد سبحانه لنا هنا: أن يجسد لنا هَدْيَه وتعاليمه لننتقل من المضمون الواقعي والحسي، الغني بالقيم والجمالات، ليمثل لنا إغراءً يدعونا إلى الاندفاع إليه، والالتزام به، والتعاطي معه، من موقع الوعي، والمشاعر المرتكزة إلى مناشئها، فنكون أكثر اقتناعاً، وأعمق إيماناً، وأشد تمسكاً والتزاماً به، حتى إننا لنضحي من أجله بالغالي والنفيس حين يقتضي الأمر ذلك.

أما إذا اقتصر على المضمون التصوري، والتخيلي التجريدي، فإن الاندفاع لن يكون بالمستوى المطلوب، بل سوف يعاني من حالات التردد والخوف من جدوى أو من إمكانية وواقعية ما يطلب منه، ولن يكون في موقع الرضى والثبات والطمأنينة في الممارسة وفي الموقف، ولا أقل من أن ذلك لن يكون قادراً على الإثارة والإغراء بمستوى ما لو كان المضمون حسياً ومتجسداً.

أضف إلى ما تقدم: أن من مصلحة الإنسان أن يتطلب أقصى درجات الهداية وأجداها وأوضحها، وأشدها تأثيراً، والهداية الحسية هي الأقوى والأجدى حيث تريك القيم والجمالات متجسدة أمامك، وتدفع بك، وتشدك إليها، فإذا صاحَبَ ذلك تنفيرٌ وتخويف من صراط الضالين والمغضوب عليهم، فإن كل المقومات المطلوبة للاندفاع بقوة تصبح جاهزة ومستعدة للتأثير وللتحريك باتجاه الهدف الأقصى والأسمى، وبعبارة أوضح: إن النعمة والاستزادة هي هدف الطالب في جامعته، وهدف المزارع في حقله، وهدف العابد في محرابه، ووو... ويتحرك الإنسان من أجل الحصول عليها بصورة عفوية فيسلك إليها أقرب السبل وأكثرها أمناً، وهو الصراط المستقيم، فإحساسه بأن ثمة نعمة وثمة استزادة، يمثل دافعاً له إلى التحرك نحوها، وإن الغضب الإلهي والله سبحانه هو أعظم قوة تملك التصرف في حياة وشؤون الإنسان وغير الإنسان، ثم الضلال

عن الهدف، وعن طريق الوصول إليه.

نعم، إن هذا الغضب وذلك الضلال لما كان الإنسان ينفر منه ويبتعد عنه بصورة عفوية أيضاً، لأن الغضب والضلال يوحيان بزوال النعمة، أو بعدم الحصول عليها، فلا بد له إذن من الابتعاد عن سبل المغضوب عليهم والضالين لتفادي أية سلبية تنشأ من اتباع سبيلهما.

ويلاحظ أخيراً: أنه تعالى قد عبّر بكلمة ﴿أَنْعَمْتَ﴾ التي تفيد معنى ينطبق على جميع الأمور التي تعني الإنسان من صحة أو مال أو قدرة، أو جاه أو هداية أو علم، أو أمن أو أي شيء آخر يسهم في إسعاد الإنسان، ويمكن له أن يحصل عليه. وهذا نوع آخر من الترغيب والتحفيز للسير على ذلك الصراط، وكل ذلك يفسر لنا السبب في أن ذلك قد ورد في سورة الفاتحة التي تتكرر في كل يوم عشر مرات على الأقل، فقد أريد منه أن يصبح خلقاً، وطريقة، وحركة عفوية، من خلال ارتكاز ذلك في نفس الإنسان وروحه وكل وجوده.

النعمة والنقمة:

وقد يتخيل البعض: أن الذين أنعم الله عليهم، قد تسببت لهم نفس تلك النعمة بالنقمات، فقد أوذي الأنبياء، وقتل الحسين

بن علي عليه السلام في كربلاء بصورة مفجعة. وقال علي عليه السلام لأهل العراق: (لقد ملأتم قلبي قيحاً)[١]، ومع هذا، فكيف نفسر قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾[٢]؟، حيث عَدَّ سبحانه الشهداء أيضاً في جملة من أنعم عليه، مع أنهم يواجهون الحتوف، بشفار السيوف، مع ما يصاحب ذلك من آلام ومشقات وأهوال، ومحن، هذا بالإضافة إلى الأنبياء الذين يواجهون المصائب والبلايا، والعظائم والرزايا.

وخلاصة الأمر: إن هذا - وفق تصورهم - لا يتناسب مع نسبة النعمة لهم، بل ذلك نقمة، لأنه ليس إحساناً وتكريماً إلهياً، فكان المناسب أن يقول: صراط الذين أتعبتهم وأشقيتهم بالمصائب في سبيل هذا الدين.

ونقول في الجواب: صحيح أن النعمة هي الشيء الحاصل للإنسان على سبيل الإفضال والتكريم منه تعالى، ولكن المهم هو أن ندرك نحن هذه النعمة، ونعرف كيف نتلمسها، وما هي المفردات التي تتجسد فيها، فهل تتجسد بالمال، أو بالسلطة، أو بالجاه، أو بالمنصب، أو بالقوة الجسدية، أو بالجمال، أو بالعرق، أو... فقد يشعرك المال بالطمأنينة، والسعادة، والراحة النفسية، ولكنها طمأنينة، وراحة

(١) نهج البلاغة، (بشرح عبده): الخطبة رقم ٢٦: ج١، ص٦٦.

(٢) سورة النساء: آية٦٩.

وسعادة تبقى محدودة بحدود، ومقيدة بقيود لا تتجاوز قيمة المال نفسه، فإذا مرضت فقد تستفيد من مالك لدخول أرقى المستشفيات، واستخدام أحدث الأجهزة، والاستفادة من خبرات أمهر الأطباء، وو... ولكن هل هذا هو كل شيء، وهل حصلت على الطمأنينة وعلى السعادة بأعلى مراتبها؟ وهل زال هاجس الخوف على حياتك بصورة نهائية؟ إن المال يماشيك ويصل معك إلى حد معين، ثم يقف عنده، وكذلك الجاه، والسلطة وو... وبعد ذلك ـ وهذه هي المرحلة الأخطر والأهم ـ لا بد أن تبحث من جديد عن السعادة والطمأنينة الحقيقية في غير ذلك كله، لتجدها متمثلة في رضى الله سبحانه، وفي الإيمان والسكون بذكره كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً**﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿**أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[2]، ولأجل ذلك يكون الشهداء سعداء، والأنبياء والصالحون والأولياء سعداء، وفي نعمة حقيقية، هم في نعمة وفي سعادة حتى وهم يتألمون ويواجهون المحن، والبلايا، ويستشهدون. وتأكل السيوف أجسادهم، وهذا ما يفسر لنا: قول مسلم بن عوسجة، أو سعيد بن عبد الله الحنفي للإمام الحسين عليه السلام في كربلاء: لو علمت أني أقتل فيك ثم أحيا، ثم أحرق حياً، ثم أذرَّى، يفعل

---

(١) سورة الفجر: آية٢٨ و٢٩.

(٢) سورة الرعد: آية٢٨.

بي ذلك سبعين مرة، ما فارقتك، حتى ألقى حمامي دونك[١]، وقال علي عليه السلام: والله، لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه[٢]، وحين ضُرب عليه السلام بسيف ابن ملجم (لعنه الله) قال: فزت ورب الكعبة[٣]، وحين قال ابن زياد لزينب رحمها الله: كيف رأيتِ فعل الله بأهل بيتك؟ قالت: ما رأيت إلا جميلاً[٤]، وسأل الحسين عليه السلام القاسم بن الحسن عليه السلام: يا بني، كيف الموت عندك؟ قال: يا عم، أحلى من العسل[٥]، إلى نماذج كثيرة أخرى للرضى والتسليم والإيمان والاطمئنان، والإحساس بالسعادة وبالفوز بلقاء الله سبحانه.

وهذه هي النعمة الحقيقية التي يختار الله الشهيد على أساسها، ثم يمضي القرار الإلهي بها من خلال التكليف الإلهي، ثم المبادرة

---

(١) نفَس المهموم، السيد ابن طاووس: ص٢٠٦، ط سنة ١٤١٢ هـ دار المحجة البيضاء. واللهوف: ص ٣٩. ومقتل الحسين، للمقرم: ص٢٥٦ عن الإرشاد، الشيخ للمفيد وعن تاريخ الطبري: ج٦، ص٢٣٩.

(٢) نهج البلاغة، (بشرح عبده): ج١، ص٤١، ط دار المعرفة ـ بيروت.

(٣) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، (بتحقيق المحمودي): ج٣، ص٣٠٣، ومقتل أمير المؤمنين عليه السلام، ابن أبي الدنيا مطبوع في مجلة تراثنا سنة٣ عدد٣: ص٩٦، وينابيع المودة، القندوزي: ص٦٥.

(٤) نفَس المهموم، السيد ابن طاووس: ص٣٧١، واللهوف، السيد ابن طاووس: ص٦٧.

(٥) المصدر السابق: ص٢٠٨، والمصدر السابق: ص٨٢ و٨٣.

العملية من هذا المكلف لإنجاز ذلك التكليف، ويتوج ذلك بالاصطفاء، الذي هو التعبير عن الرضى الإلهي الغامر، أما المال والجمال والقوة وسوى ذلك فلن يستطيع أن يمنحك هذه السعادة، التي قد يجدها الفقير المعدم، ويفقدها الغني بماله، الفقير بما سوى ذلك، بل إن أفقر الناس هم الأغنياء، ولأجل ذلك صح التعبير عن الشهداء والأولياء وو... بـ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

وإن شئت لخَّصتَ ما تقدم على الشكل التالي: إن النعمة هي الحصول على المطلوب، وتحقيق الغاية المتوخاة، والنقمة هي الخيبة والخسران في هذا المجال، أما الألم والتعب الموصولان إلى الغاية فليسا نقمة أبداً، فما تعرض له الأنبياء والأوصياء والمؤمنون، لا يعتبر نقمة، لأن ذلك لم يجعلهم يخسرون نعمة القرب من الله، والحصول على مقامات الزلفى منه، بل قد زاد ذلك في علو درجاتهم، وفي صقل إيمانهم، وتصفية وتغذية نفوسهم، الأمر الذي زاد في استحقاقهم للألطاف الإلهية، وللتوفيقات والبركات الربانية، فآلامهم تلك كانت سبباً في زيادة توغلهم في النعم.

من هم الذين أنعم الله عليهم؟:

لقد حدد الله سبحانه لنا الذين أنعم عليهم، فقال: ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين، والشهداء

والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾[١].

شمول الآية للنبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام:

وقد يدّعي البعض: أن الآية تشمل الأنبياء السابقين على نبينا صلى الله عليه وآله، لأنها نزلت في أول البعثة، ولا تشمل نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله، والأئمة الطاهرين من أهل بيته عليهم السلام، لأنهم حين نزول الآية لم يكونوا موجودين، أو ما كانوا يمثلون أسوة وقدوة للناس ليأمر الله سبحانه بالتمسك بهم، والاتباع لهم، ونقول:

إن الجميع مقصود بالآية حتى نبينا الأكرم وأئمتنا (عليهم الصلاة والسلام)، لأن الآية هنا مسوقة على نحو القضية الحقيقية، لا القضية الخارجية أو الذهنية، ولتوضيح ذلك: نقول: إن كل قضية لا بد لها من موضوع يكون الحكم عليه، وهو أقسام؛ فإنك:

- إذا قلت: كل جبل ياقوت ممكن الوجود، فجبل الياقوت لا وجود له في الواقع الخارجي، بل هو موجود في ذهنك فقط (فهذه قضية ذهنية موجبة).

- إذا قلت: كل من في الغرفة عمره أقل من عشرين سنة، أو كل من في المعسكر قد دُرِّب على حمل السلاح، أو كل من في هذا المدرسة يحمل الشهادة الابتدائية، فقد لوحظ موضوع الحكم هنا

---

(١) سورة النساء: آية٦٩.

موجوداً في الواقع الخارجي، ومتحققاً في أفراده في أحد الأزمنة الثلاثة (فهذه قضية خارجية موجبة).

- إذا قلت: كل إنسان قابل للتعليم العالي، أو قلت: من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله فهو مسلم، أو قلت: كل ماء كريّ فهو طاهر ومطهّر، أو كل من أنعم الله عليه فهو مهتد إلى الصراط المستقيم، أو من بلغ وهو عاقل فقد وجبت عليه الصلاة، وكذا: لله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً، فموضوع الحكم في هذه الأمثلة كلها قد لوحظ وجوده في نفس الأمر والواقع: أي: أن الحكم إنما كان على الطبيعة بما لها من أفراد محققة الوجود، ومفروضة ومقدرة الوجود معاً، فكلما فرض وجوده -وإن لم يوجد بعد- فهو داخل في الموضوع ويشمله الحكم، فإذا وجد فإن الحكم يثبت له بصورة تلقائية، ولا يحتاج إلى إنشاء حكم جديد، وهذا ما نسميه بالقضية الحقيقية الموجبة.

وما نحن فيه من هذا القبيل، فمن أنعم الله عليه من الأولين والآخرين قبل نزول الآية وبعد نزولها فهو مهتد إلى الصراط، كما أن من شهد الشهادتين فهو مسلم حتى لو ولد بعد آلاف السنين، من هذا التاريخ، وهكذا سائر الأمثلة.

نحن والسابقون:

وقد يتخيل البعض: أن الذين أنعم الله عليهم إذا كانوا هم الأئمة والنبي والشهداء والصالحون مِن هذه الأمة بالإضافة إلى مَن سبقهم، فإن معنى ذلك: هو أن المصاديق الفضلى والمثلى لذلك يكون عمرها من عمر رسالة نبياً صلى الله عليه وآله نحن المسلمين، ولم يكن بمقدور من سبقنا من الأمم أن يصل أو أن يتصل به، ولا أن يطلع على ما استجد من تعاليم توجب المزيد من الرقيّ والسمو والقرب، أضف إلى ذلك: أن معنى ذلك أن الصراط المستقيم أصبح من الأمور النسبية، التي تتفاوت وتختلف باختلاف الأشخاص والأزمان، فالمرتبة التي يمكن أن يصل إليها الناس بعد بعثة نبياً صلى الله عليه وآله وإمامة الأئمة الأطهار عليهم السلام تصبح أكمل وأتم من المراتب التي توفرت للأمم السابقة على بعثته صلى الله عليه وآله، فإن نبياً أفضل من أنبيائهم، وتعاليمه أكمل وأتم من تعاليمهم، وتجربتنا أغنى من تجربتهم، وبهذا فسر العلماء تعدد الشرائع بعدد الأنبياء أولياء العزم، حيث كان السابق منهم عليهم السلام يمهد للاحق، على مستوى تنمية القابليات والاستعدادات لتأهل الإنسان وتمكينه من مواكبة وتقبل وتحمل المستوى الجديد والشريعة الجديدة، التي ستنسخ سابقتها، ونقول: إننا نجمل توضيحنا في إطار النقاط التالية:

إن الصراط الموصل إلى الله سبحانه واحد، لا يمكن التعدد فيه ولا الاختلاف، فمن يسير على تعاليم إبراهيم عليه السلام يصل إلى الله

سبحانه، وكذلك من يسير على تعاليم موسى وعيسى عليهما السلام، والباب مفتوح أمام الجميع والشريعة وسيلة للوصول، غاية الأمر أن هناك من يصل نقطة وهناك من يصل إلى نقطة أبعد منها. ثم أبعد، وهكذا، والمعيار هو ما يحصل علية من درجة خلوص وإخلاص، وصفاء ونقاء، ومعرفة، ولا ينحصر ذلك في سابق، ولاحق، فإبراهيم الخليل عليه السلام قد سبق من سبقه ومن لحقه من الأنبياء حتى موسى وعيسى، باستثناء نبينا محمد صلى الله عليه وآله، فكما استطاع إبراهيم الوصول إلى تلك المرتبة العليا، فيمكن لغيره أن يصل أيضاً إليها، وقد وصل نبينا صلى الله عليه وآله من خلال شريعة إبراهيم إلى درجات ربما لم يبلغها إبراهيم نفسه.

إن نبينا محمداً صلى الله عليه وآله كان في الأصل على شريعة إبراهيم عليه السلام قال تعالى: ﴿**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ**﴾[1]، وقد كان موسى وعيسى على شريعة إبراهيم أيضاً، وقد أرسلهما الله سبحانه إلى بني إسرائيل، وقد كان هناك شريعتان فقط: هما شريعة إبراهيم عليه السلام، وشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وآله، بل إن شريعتهما أيضاً واحدة، وقد قال تعالى: ﴿**مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ**﴾[2]، ولذلك نصلي على نبينا وآله وعلى

(١) سورة النحل: آية١٢٣.

(٢) سورة الحج: آية٧٨.

إبراهيم وآل إبراهيم في سياق واحد، ولعل ذلك للإلماح إلى هذا الأمر.

وكون موسى وعيسى وغيرهما من أولياء العزم لا يلزم منه أن يكون لهما شرائع مستقلة، لأن المقصود بكون النبي من أولي العزم، هو أنه يملك طاقة وقدرة يستطيع معها مواجهة التحديات الكبرى، حتى ليواجه عليه السلام فرعون الذي كان يدعي الربوبية، ويواجه بني إسرائيل وهم قتلة الأنبياء، وأصعب الناس انقياداً لنبي.

ونسخ بعض الأحكام في شريعة سابقة، لا يعني نسخ أساس الشريعة، بل هو على حد النسخ الذي يكون في أحكام الشريعة الواحدة، كما تنسخ آية في القرآن آية قرآنية أخرى، فهذا كله لا يعني: أننا أمام شرايع مختلفة، كما أنه لا يعني رفعة مقام النبي اللاحق في أولي العزم أو غيرهم، على مقام النبي السابق، وقد ذكرنا إبراهيم كمثال ناقض لذلك التصور الخاطئ.

إننا لا نمنع من أن يستفيد اللاحقون من تجربة السابقين، ولا أن يسهم السابقون في تنمية قابليات واستعدادات من يأتي بعدهم، ولكن هذا لا يعني: أن يكون طريق الوصول إلى أعلى المراتب قد كان موصداً أمام السابقين، فإن طريق الوصول لله مفتوح أمام الجميع، وإذا كان ثمة من تفاوت أو اختلاف في الوصول، فيعود إلى الإنسان

نفسه.

ليس لله على الكافر نعمة؟:

ومن الأمور المثيرة للعجب أن نجد بعض المفسرين يدعي: أنه ليس لله سبحانه على الكافر نعمة، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**﴾، حيث خصت الآية النعمة بالمؤمنين، إذ لو شملت الكافرين لكان معنى ذلك هو أننا نطلب هنا الهداية إلى صراط الكافرين أيضاً، لأنهم ممن أنعم الله عليهم حسب المدعى.

وهذا الكلام وإن كان باطلاً، لا يستحق الالتفات إليه، لكننا مع ذلك نقول:

إن هذا القائل ليس فقط لم يقرأ القرآن، فإنه أيضاً لم يقرأ بقية نفس هذه الآية: وهو قوله تعالى: ﴿**غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ**﴾، ولم يقرأ أيضاً قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[1]، وقوله: ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾[2]،

---

(١) سورة البقرة: آية٢١١.

(٢) سورة البقرة: آية٤٠.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾[٣]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً﴾[٤] إلخ.

إذن، هناك قسمان من الذين أنعم الله عليهم: أحدهما لم يبدل نعمة الله كفراً، ولم يغضب الله عليه، ولم يضل إلخ، وهم الذين تطلب الهداية إلى صراطهم، والآخر: بدَّل وغيّر، وغضب الله عليه وو... إلخ، فنحن نحترس منهم ونستثنيهم.

إعراب: (غير المغضوب):

إذا قلنا: إن كلمة: (غير المغضوب) بدل من كلمة: (الذين أنعمت عليهم)، فإن المقصود هو إضافة (الصراط) إلى البدل نفسه أي: (صراط غير المغضوب ... إلخ)، ويكون (غير المغضوب عليهم) هم نفس (الذين أنعم الله عليهم).

وأما إذا قلنا:إن كلمة: (غير المغضوب) صفة (للذين)، فيرد

---

(١) سورة النحل: آية٨٣.

(٢) سورة النحل: آية٧٢.

(٣) سورة النحل: آية٧١.

(٤) سورة إبراهيم: آية٢٨.

سؤال: كيف يصح وصف المعرفة بكلمة غير، التي هي متوغلة في الإبهام، ولا تتعرف بالإضافة، وهم يقولون: لا يصح وصف المعرفة بالنكرة، ونقول في الجواب:

أولاً: إن كلمة (غير) قد يوصف بها المعرفة أيضاً، وذلك إذا وقعت بين متقابلين، مثل: الحركة غير السكون، حيث إن التقابل بين السابق واللاحق يقرّبها من المعرفة، لإتضاح معناها بواسطة الطرف الآخر الذي وقعت وصفاً له، وما نحن فيه من هذا القبيل، لوقوعها بين (من أنعم عليهم)، وبين (المغضوب عليهم)، فصح وصف المعرفة بها هنا أيضاً لأجل ذلك.

وثانياً: كلمة (الذين) ليست من قبيل المُعرَّف بالعلمية، لأنها إنما تعرفت بواسطة الصلة، وهذا التعريف لا يصل إلى درجة سائر المعارف من حيث درجة التحديد، بل يبقى لكلمة (الذين) عموم وسعة، فكلمة (الذين) شبيهة بـ(ال) الجنسية أو الحقيقية التي تدخل على كلمة (رجل)، و (بعير) فتقول: الرجل، والبعير، والكريم، فإنها لا تصل إلى درجة التحديد والتعريف بالعلمية.

إذن، فيصح وصف كلمة (الذين) التي عرّفت بالصلة بكلمة: (غير المغضوب عليهم)، وإن كانت متوغلة في الإبهام، لأنها قد تضيقت بالمضاف إليه كما تضيقت كلمة (الذين) بصلتها.

من هم: (المغضوب عليهم)، و(الضالون)؟:

وقد ورد في الروايات، وذهب إليه عدد من المفسرين: أن المقصود بـ (المغضوب عليهم): اليهود. والمقصود بـ (الضالين): النصارى، والظاهر: أن هذا من باب الانطباق، حيث إن اليهود والنصارى من مصاديق المغضوب عليهم، ومن مصاديق الضالين، والآية عامة صالحة للانطباق عليهم وعلى غيرهم ممن يعمل عملهم، وفي الآيات القرآنية ما يدل على انطباق (المغضوب عليهم) على غير اليهود، وانطباق الضالين على غير النصارى، فأما بالنسبة لعنوان المغضوب عليهم، فنقرأ الآيات التالية:

﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنْ الصَّادِقِينَ﴾[١]، ﴿أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾[٢]، وخاطب سبحانه أهل الكتاب بقوله: ﴿بِغَضَبٍ مِنْ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الْمَسْكَنَةُ﴾[٣]، وبالنسبة للضلال، فقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً

---

(١) سورة النور: آية٩.

(٢) سورة المجادلة: آية١٤.

(٣) سورة آل عمران: آية١١٢.

بَعِيداً﴾[١]، **﴿وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنْ الْمُنذِرِينَ﴾**[٢]، **﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً﴾**[٣]، وهناك آيات كثيرة أخرى.

فترى: أن الآيات الكريمة إما ناظرة إلى المؤمنين، كالآية الأخيرة، وإما ناظرة إلى العصاة والمنحرفين بغض النظر عن الديانة التي ينتمون إليها.

التوضيح والتطبيق:

ولتوضيح ما سبق نقول: إنه تعالى قد ذكر صفتين، قد تتوافقان، وقد تختلفان، أي: أن النسبة بينهما يكون هي العموم والخصوص من وجه، كالطير والأسود، حيث يتوافقان في الغراب، الذي هو طير وأسود، وقد لا يكون الأسود طيراً، بل يكون ثوباً مثلاً، والطير قد يكون حماماً أبيض، فكل من الطير والأسود أعم من الآخر، وأخص منه من وجه، والمغضوب عليهم والضالون أيضاً كذلك، فقد يكون الإنسان ضالاً في عقيدته، وأفكاره، ومجرماً في سلوكه وأفعاله، وإجرامه يثير الغضب، فيبادر الغاضب إلى مجازاته، وقد يكون ضالاَ لكنه ليس بمجرم، فلا يثير غضباً ولا يستحق التأديب والجزاء المناسب، وقد يكون مجرماً، لكنه ليس بضالِ، فهناك

(١) سورة النساء: آية١٣٦.

(٢) سورة النمل: آية٩٢.

(٣) سورة الأحزاب: آية٣٦.

إذن صفتان في مقابل المنعم عليهم، قد توجدان في واحد من الناس أو أكثر، وقد توجد إحداهما في بعض الناس، وتوجد الأخرى في بعض آخر، ولا بأس بأن نطبق إحدى الصفتين على اليهود والذين اجرموا إجراماً ظاهراً، فقتلوا الأنبياء، وأفسدوا في الأرض، فغضب الله عليهم لأجل ذلك، وعلى النصارى الذين ضلوا وأضلوا الناس، فكان إجرامهم خفياً وذكياً، مع العلم بأن اليهود أيضاً مصداق للشق الثاني، فإنهم أيضاً ضالون ومضلون، والنصارى أيضاً حين يقتلون الأبرياء ويشنون حروبهم الصليبية على الحق والدين، ويناصرون اليهود الغاصبين هم أيضاً مجرمون مغضوب عليهم لإجرامهم، ولا بد من مجازاتهم على هذا الإجرام، فالآية لا تخص اليهود بوصف المغضوب عليهم، ولا تخص النصارى بوصف الضالين، بل هي عامة تشمل حتى الملحد، بل والمسلم إذا أجرم، فاستحق العقاب، وكذا إذا ضل وأضل.

فمن أغضب فاطمة عليها السلام يدخل في المغضوب عليهم لقوله صلى الله عليه وآله: من أغضبها فقد أغضبني، وذلك ظاهر لا يحتاج إلى مزيد بيان.

تناقض يسيء إلى المعنى:

والغريب في الأمر هنا: أننا نجد نفس أولئك الذين فسروا الآية باليهود والنصارى قد ناقضوا أنفسهم حين أضافوا إلى ذلك

قولهم: إن المغضوب عليهم هم قوم عرفوا الحق ثم عاندوه، وهم الذين وصفهم الله تعالى بأنهم ﴿**قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ**﴾[١].

أما الضالون فهم: قوم ما عرفوا الحق، وقصروا في طلبه، فضلوا، وهم الذين وصفهم الله بأنهم ﴿**قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**﴾[٢]، وهذا كلام عجيب، قد لا يخطر حتى على بال النصارى أنفسهم في صياغة البراءة لأنفسهم، إذ أنه يعني: أن يكون النصراني معذوراً في ضلاله، ويكاد يكون هذا تبريراً لانحرافهم، حيث إن ضلالهم كان نتيجة تقصير، فلا يرقى إلى درجة الجريمة الفاحشة.

ومعنى ذلك: أنه تعالى قد انتقل من الحديث عن أمر عظيم الخطورة، قد وصف به اليهود،وهو كونهم من المغضوب عليهم إلى أمر سهل وبسيط، وهو ضلال قوم بسبب تقصير منهم. لا بسبب التعمد لغير الحق !!، ونقول:

إن الحقيقة قد تكون عكس ذلك، أي قد تكون جريمة النصارى أعظم وأخطر من جريمة اليهود، إذا عرفنا: أن النصارى أيضاً قد رأوا الحق وأعرضوا عنه، وعاندوه. ثم قاموا بدور الإضلال للناس بصورة ذكية وخفية.

(١) سورة المجادلة: آية١٤.

(٢) سورة المائدة: آية٧٧.

أما اليهود، فإنهم قد ضلوا عن الحق، وهم يعرفون. ثم ارتكبوا الجرائم والموبقات. فهم ضالون ومجرمون. فلا بد من الحذر مرة من ضلالهم الظاهر، ومن إجرامهم المفضوح، أما النصارى فلا بد من الحذر منهم ألف مرة، لأنهم ينساقون وراء أهوائهم، ويعملون على إضلال الناس بصورة ذكية وماكرة. وقد نجحوا في ذلك، قال تعالى: **﴿لا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾** وقال: **﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ﴾**[1]، فهم إذن يعرفون الحق، ولكنهم يتبعون أهواءهم، ويضلون الناس أيضاً. وليست لقضية مجرد ضلال ناشئ عن تقصير، قد لا يكون له هذا المستوى من الخطورة والقبح.

﴿وَلا الضَّالِّينَ﴾:

وإنما قال تعالى: **﴿وَلا الضَّالِّينَ﴾**،١ بإضافة كلمة (لا) ولم يقل: والضالين، أو: وغير الضالين، لسببين:

الأول: إن كلمة (لا) صريحة في نفي ما بعدها، أما كلمة غير فإنما تنفيه بصورة نفي اللازم.

الثاني: إنه تعالى لا يريد أن يكون المجموع المركب من

---

(١) سورة الأعراف: آية١٥٧.

المغضوب عليهم والضالين هو مدخول غير، ليكونوا فريقاً واحداً مقابل الذين أنعم الله عليهم.

بل يريد أن يستثني الفريقين أي: (المغضوب عليهم) و(الضالين)، لا بشرط، حيث إنه يريد مقابلة الذين أنعم الله عليهم بالمغضوب عليهم تارة،وبالضالين أخرى، وبالمجموع المركب منهما ثالثة، وهذا إنما يتسنى في ظل كلمة (لا)دون كلمة غير التي قد توهم المعنى الآخر.

الفهرس

المقدمة: ٥

القسم الأول

ما يختص بالبسملة

القسم الأول: ما يختص بالبسملة ٩

إنها جزء من فاتحة الكتاب: ١١

منزلة البسملة: ١٤

بداية كل شيء: ١٧

المراد بـ(بِسْمِ الله): ١٩

اسم الله الأعظم أو اسم الله الأكبر ٢٢

تفسيرها: **أولاً**: تفسير (بسم الله) من الروايات الشريفة: ٢٤

ثانياً: تفسيرها من كتب التفسير: ٣٤

التدرج بكتابتها من النبي صلى الله عليه وآله: ٥٤

كتابتها: ٥٤

ثواب تعليم البسملة: ٥٧

كفاية من البلاء: ٥٧
عند الدعاء: ٥٩
ثواب قراءتها: ٥٩
الإكثار من قراءتها: ٥٩
تفتح أبواب الطاعة: ٦٠
عند الوضوء: ٦٠
نجاة من الزبانية: ٦٤
عند النوم: ٦٥
عند الأكل: ٦٦
عند خلع الثياب: ٧٤
إنها حجاب من الناس: ٧٤
للحزن: ٧٥
الجهر بالبسملة: ٧٥
إذا أتى أحدكم أهله: ٧٦
إذا وقعت في ورطة: ٧٧
للشفاء من العلل: ٧٧
للحفظ وعدم النسيان: ٧٧
لقضاء الحوائج: ٧٨

القسم الثاني

ما يشمل كامل سورة الفاتحة

القسم الثاني: ما يشمل كامل سورة الفاتحة ٧٩
منزلة الفاتحة:..... ٨١
ثواب قراءتها مطلقاً:..... ٨٤
ثواب قراءتها في الصلاة:..... ٨٥
للشفاء من كل علة وداء: ٨٦
لرفع العذاب:..... ٩٣
منفرة للشيطان: ٩٣
لقضاء الحوائج: ٩٣
اختلاف القراءات:..... ٩٤
منزلتها عند الأئمة عليهم السلام:..... ٩٤
قصة الإمام الصادق عليه السلام ورجل من القدرية: ٩٤
تفسير سورة الحمد في روايات أهل البيت عليهم السلام: ٩٦
- التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام:..... ٩٦
قوله عز وجل: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: ٩٦
قوله عز وجل: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: ١٠٠
قوله عز وجل: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾: ١٠٤
قوله عز وجل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: ١٠٥

قوله عز وجل: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: ١٠٩
قوله عز وجل: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: ١١١
قوله عز وجل: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾: ١١٣
- تفسير القمي: ١١٤
تفسير سورة الفاتحة من كتب التفسير: ١١٧
تفسير قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١١٧
اختصاص الحمد بالله سبحانه: ١١٨
الحمد والرحمة بداية ونهاية: ١٢٠
له الحمد في الأولى والآخرة: ١٢٢
لماذا لم يقل الحمد لرب العالمين: ١٢٥
لماذا الحمد؟!: ١٢٦
لغة القرآن في التربية العقائدية: ١٢٧
التسبيح بحمد الله تعالى: ١٢٨
وهنا العديد من الأسئلة: ١٢٩
شمولية كلمة: (رب). ١٣٣
﴿الْعَالَمِينَ﴾: ١٣٣
ما المقصود بالعالَمين؟: ١٣٤
استدلال لا يصح: ١٤٠
ربي أم رب العالمين: ١٤١

الألوهية والربوبية معاً: ١٤١
تفسير قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ١٤٤
﴿الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ﴾: مرة أخرى: ١٤٤
النقص حقيقي وأساسي: ١٤٥
ثبات واستمرار الرحمة: ١٤٦
دوافع التربية والرعاية: ١٤٦
تفسير قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ١٤٧
المعاد مشكلة حقيقية للمشركين: ١٤٧
﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾: ١٥٧
مالكية الله سبحانه للدنيا: ١٥٨
الدِّين هو الجزاء: ١٥٩
﴿يَوْم﴾: ١٥٩
تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: ١٦١
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: ١٦١
تقديم كلمة: (إياك): ١٦٢
نعبد ونستعين بصيغة الجمع: ١٦٤
ما المراد بالعبادة؟: ١٦٨
تنوع المستحبات وكثرتها: ١٧٠
﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: ١٧٢

الوعي يقتضي الاستعانة: ١٧٢
التوحيد في العبادة والاستعانة:..... ١٧٢
جبر أم اختيار: ١٧٣
الاستعانة، والعجب والرياء وغيرها. ١٧٣
الاستعانة بغير الله سبحانه: ١٧٤
تفسير قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: ١٧٧
الطلب الجازم: ١٨٠
الإسلام لا يغني عن طلب الهداية:..... ١٨٠
أنواع الهداية وأقسامها:..... ١٨٥
وصف الصراط بالمستقيم: لماذا؟! ١٨٨
تفسير قوله تعالى:﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾:..... ١٩٠
نسبة الصراط إلى غير الله سبحانه:..... ١٩٠
النعمة والنقمة:..... ١٩٤
من هم الذين أنعم الله عليهم؟: ١٩٨
شمول الآية للنبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام:..... ١٩٩
نحن والسابقون:..... ٢٠١
ليس لله على الكافر نعمة؟:..... ٢٠٤
إعراب: (غير المغضوب): ٢٠٥

من هم: (المغضوب عليهم) و(الضالون)؟: ٢٠٧
التوضيح والتطبيق: ٢٠٨
تناقض يسيء إلى المعنى: ٢٠٩
﴿وَلا الضَّالِّينَ﴾: ٢١١

من إصدارات شعبة التبليغ

١- كتاب الذنوب أسبابها وعلاجها
٢- كتاب المرأة في الإسلام
٣- كتاب المناسبات الدينية ج١
٤- توجيهات المرجعية العليا بخصوص زيارة الأربعين - عربي - فارسي
٥- توصيات سماحة آية الله الشيخ هادي آل راضي في زيارة الأربعين
٦- كتيب أصبنا بك يا حبيب قلوبنا
٧- كتيب صلح الإمام الحسن عليه السلام
٨- كتيب حادثة الدار ومظلومية الزهراء عليها السلام
٩- فدك ميراث النبوة وعنوان الخلافة
١٠- أحكام المراة في الشريعة (الحجاب والاختلاط)
١١- كتيب قبس من نور الولادات الشعبانية
١٢- دروس من وصية أمير المؤمنين لولده الإمام الحسن عليه السلام
١٣- نصائح السيد السيستاني عربي - فارسي - اردو - انكليزي - فرنسي
١٤- كتيب الصلاة على محمد وآل محمد، معناها، كيفيتها، فضلها في الدنيا والآخرة
١٥- كتيب صلاة الجماعة وأثرها على الفرد والمجتمع
١٦- كتيب في رحاب الولاء (زيارة أمير المؤمنين عليه السلام)
١٧- كتيب حادثة الدار ومظلومية الزهراء عليها السلام
١٨- كتيب دروس وعبر من خطبة الزهراء عليها السلام
١٩- كتيب تربية الطفل في الإسلام

٢٠- كتاب المشتركات (الحق العام) في الشريعة الإسلامية
٢١- كتاب ولادة الإمام المهدي بين الضرورة والتشكيك
٢٢- كتيب وظيفة المكلفين في عصر الغيبة
٢٣- كتيب الكذب
٢٤- كتيب الأمر بالمعروف
٢٥- كتيب الرياء
٢٦- كتيب الغيبة
٢٧- كتيب قتل النفس المحترمة
٢٨- كتيب ففروا الى الله
٢٩- كتيب اللهو المحرم
٣٠- كتيب الدماء الثلاثة
٣١- كتيب الحجاب
٣٢- كتيب مكانة المرأة
٣٣- كتيب الإسراف
٣٤- كتيب عقوق الوالدين
٣٥- كتيب ترك الصلاة
٣٦- كتيب الربا
٣٧- كتيب التعرب بعد الهجرة
٣٨- كتيب قذف المحصنات
٣٩- كتيب الغضب
٤٠- كتيب البرنامج العبادي

٤١- كتيب الغناء
٤٢- كتيب العفة
٤٣- كتيب الوصية الشرعية
٤٤- كتيب قد افلح من زكاها
٤٥- كتيب رياحين الولاية
٤٦- كتيب فقه الصائم
٤٧- حقيبة المعتمر
٤٨- كتيب فقه الزائر
٤٩- كتيب فقه الممارسات الطبية
٥٠- كتيب فقه المسافر
٥١- كتيب فقه الصوم وزكاة الأبدان
٥٢- آداب الحج
٥٣- كتيب حوارية صلاة الجماعة
٥٤- كتيب المبعث النبي
٥٥- كتيب اليماني الموعود
٥٦- الشهيد وفضله في الإسلام
٥٧- كتيب زاد المجاهدين
٥٨- كتيب تذكرة للزائرين
٥٩- من مناقب الرسول وأهل بيته
٦٠- يوم الغدير عيد الله الأكبر
٦١- كتيب مواعظ من نهج البلاغة

٦٢- محطات على طريق الحسين عليه السلام
٦٣- عقيلة الهاشميين سيرة ومسيرة
٦٤- كتيب حقيبة الحاج آداب وأحكام
٦٥- أسباب غيبة الإمام المهدي عليه السلام
٦٦- كتيب الزواج في الإسلام
٦٧- فقه الزائر، الزائرة عربي، فارسي
٦٨- كتيب آداب الزيارة عربي، فارسي
٦٩- شذرات من حياة الرسول صلى الله عليه وآله
٧٠- شذرات من حياة أمير المؤمنين عليه السلام
٧١- شذرات من حياة الزهراء عليها السلام
٧٢- شذرات من حياة الإمام الحسن عليه السلام
٧٣- شذرات من حياة الإمام الحسين عليه السلام
٧٤- شذرات من حياة الإمام السجاد عليه السلام
٧٥- شذرات من حياة الإمام الباقر عليه السلام
٧٦- شذرات من حياة الإمام الصادق عليه السلام
٧٧- شذرات من حياة الإمام الكاظم عليه السلام
٧٨- شذرات من حياة الإمام الرضا عليه السلام
٧٩- شذرات من حياة الإمام الجواد عليه السلام
٨٠- شذرات من حياة الإمام الهادي عليه السلام
٨١- شذرات من حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام
٨٢- شذرات من حياة الإمام المهدي عليه السلام

٨٣- مظاهر في الميزان (٢) الأزياء وطرق بيعها واستعمالها
٨٤- الصحيفة الغراء في تسبيح الزهراء عليها السلام
٨٥- أم البنين رمز الوفاء
٨٦- العيد في الإسلام
٨٧- كتيب الشباب ومواجهة التحديات
٨٨- كتيب السفارة والسفير في زمن الغيبة
٨٩- فرصة العمر في إحياء ليلة القدر
٩٠- الزيارات (آمين الله - عاشوراء - الأربعين)
٩١- دروس وعبر من التاريخ الإسلامي (غزوات ومعارك)